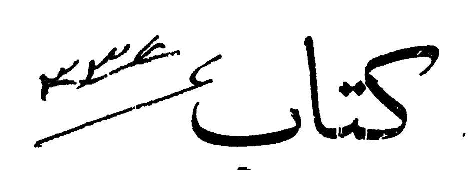


كتاب

الخيرات الحسان في مناقب الامام الاعظم

أبى حنيفة النعمان للعلامة مفتى الحجاز

الشيخ شهاب الدين أحمد بن حجر

الهيتمى المكى المتوفى سنة ٩٧٢

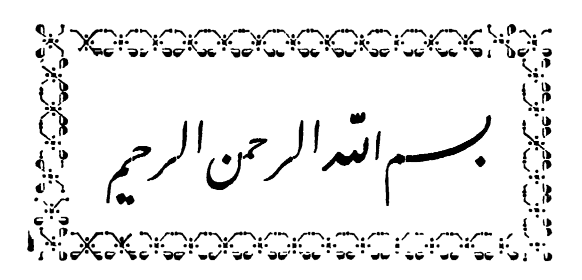
رحمه الله تعالى آمين

طبع على نفقة مولوى محمد عبد الله جيتيكر

وشركائه فى بومي الهند سنة ١٣٢٤

(طبع بمطبعة السعادة بجوار محافظة مصر)

[لصاحبها محمد إسماعيل]



الحمد لله الذي اختص العلماء بوراثة الانبياء والتخلق بأخلاقهم * وجعلهم القدوة للكافة في معاشهم ومعادهم * وميز المجتهدين منهم بقيامهم بمصالحهم وايضاح الحق لهم فى مصادرهم ومواردهم * وباضطرار الخلق اليهم في قوام ما به حياة أرواحهم وأبدانهم * فهم الملوك لابل الملوك تحت أقدامهم وفى أسر رأيهم وأقلامهم * وهم النجوم لابل النجوم تستمد من أنوارهم * وهم الشموس لابل الشموس تستضيء من أضوائهم * وأشهد أن لااله الا الله وحده لا شريك له شهادة أترقى بها فى كمالات مغارفهم * وأشهد أن محمداً عبده ورسوله المذيع لمعالي مناقبهم وكمالهم * والمفيض عليهم من سوابق التوفيق لاقتفاء آثاره فى سائر أحوالهم * ماسبقوا به من سواهم الى الخلافة الكبرى عنه في الهداية والامداد للخلق ببواطنهم وظواهرهم * صلى الله عليه وسلم وعلى آله وأصحابه الذين حازوا من قصب السبق في مضمار الكمالات الصمدانية والمعارف المصطفوية ما صاروا به القدوة الكبرى والمحجة البيضاء لاوائل الخلق وأواخرهم * صلاة وسلاما دائمين بدوام العلماء وظهور سؤددهم ومآثرهم (وبعد) فانه ورد علينا من منذ سنين بمكة المشرفة زادها الله تشريفاً وتكريماً * وجلالة ومهابة وتعظيما * رجل من فضلاء القسطنطينية وصاحائهم لجمعه بين العلوم النقلية والعقلية * والقوانين

الطيبية والرسمية * وعلوم الاخلاق والمواهب * والاحوال والمطالب * التي فاز بها القوم * السالمون من الاعتراض واللوم * ساداتنا الصوفية * وأئمتنا الطائفة الجنيدية * فساجلنا وساجلناه مساجلة الاحبة الذين هم على سرر متقابلون * ومن بحار المعارف يغترفون * الى أن انجرّ الكلام الى الأئمة الجامعين بين العلوم الرسمية * والمعارف الوهبية * المتحفين بدوام الشهود وهوامع الكرم والجود * فقال ذلك الفاضل العالم الكامل أودّ منكم مختصراً جامعاً * ودستوراً لطيفاً مانعاً * يشتمل على تلخيص ما أطال به الائمة في مناقب الامام الاعظم والقدوة المقدم أبي حنيفة النعمان سقى الله مرقده شآبيب الرحمة والرضوان وأسكنه أعلى فراديس الجنان * فبادرت الى امتثال أمره المحتم وبذلت الجهد في تلخيص تلك المناقب فانه المقصد الأهم فجاء بحمد الله مختصراً لطيفاً وأنموذجاً شريفاً فكتب منه نسخة وذهب به الى بلده أعظم بلاد الاسلام ومحط رحال العلماء الاعلام ومنبع الافاضل ومفزع الاماثل ثم كتبه الناس بعده واقتفوا أثره ومجده وتفرقوا به في البلدان ولم يبقَ عندي الا نسخة الاصل والله المستعان فاستعارها بعض الحنفية ليكتبها ويردها ثم سافر بها غير ملتفت الى عظيم وزر فقدها فتأثرت لذلك وأعدت النظر فيما لائمة المناقب من المسالك الى ان ظفرت بكتاب جامع فيها لصاحبنا الشيخ العلامه الصالح الفهامه الثقة المطاع والحافظ المتبع الشيخ محمد الشامي الدمشقي ثم المصري فلخصت مقاصده ونقحت مصادره وموارده في هذا الكتاب البديع الجامع المحكم المنيع (وسميته) الخيرات الحسان في مناقب الامام الاعظم أبي حنيفة النعمان رحمة الله عليه ورتبته على مقدمات ثلاث وأربعين فصلا

——————

﴿المقدمة الاولى﴾

اعلم ان بعض المتعصبين ممن لم يمنح توفيقاً جاءني بكتاب منسوب للامام الغزالي فيه من التعصب الفظيع والحط الشنيع على امام المسلمين وأوحد الائمة المجتهدين أبي حنيفة رحمه الله ما تصم عنه الآذان ويقول عند سماعه الموفق المنصف ليت ذلك ما كان كيف وقد أدي ذلك شمس الأئمة الكردري الي ان بسط الكلام فى رد ذلك الكتاب وقابل مؤلفه مقابلة الفاسد بالفاسد فشنع على الشافعي رحمه الله أعظم من ذلك التشنيع وبسط الكلام بما لا يحمد من الصنيع كل ذلك منه بناء على أن ذلك الغزالي هو الامام محمد حجة الاسلام وليس هو هو لما يأتي في احيائه من مدح أبي حنيفة وترجمته بما يليق بعلي كماله وأيضاً فلأن النسخة التى رأيتها مكتوب عليها ان هذا الكتاب تصنيف محمود الغزالي ومحمود هذا ليس بحجة الاسلام ومن ثمة كتب على حاشية تلك النسخة هذا شخص معتزلي اسمه محمود الغزالي وليس هو حجة الاسلام قال بعض محققي الحنفية ممن أخذ العلم عن المولى سعد الدين التفتازاني ونفرض أن ذلك صدر عن الغزالى حجة الاسلام فهذا انما صدر عنه حين كان متلبساً بعلوم الجدل وحظوظ طلبة العلم وأما فى آخر أمره حين تخلى عن تلك الحظوظ وأفيضت عليه سجال المعارف والشهود فقد عرف الحق لاهله وأقره فى محله والدليل على ذلك كلامه فى الاحياء انتهى ولا بأس بذكر خلاصة كلامه في الاحياء ليعلم نزاهة مؤلفه حجة الاسلام مما نسب اليه وقبل ذلك نقدم عليه مقدمة * وهي أن بعض علماء الهند اختصر الاحياء اختصاراً بليغاً سماه عين العلم لم يسبق الى مثل اختصاره مع تعدد مختصريه فانه أشار الى مقاصده فى أوراق قليلة تكاد ان تكون من جوامع

الكلام فلذا وضعت على كتابه شرحا له لانه لفرط مافيه من الايجاز يكاد أن يعد من الالغاز وعبارة ذلك المختصر مع عبارة شرحي له وتمام العبارة ستأتي في آخر الورقة الثانية والاولى ان يختار من الأئمة الاربعة من ظن انه أفضل الاربعةوأعلمهم لأن نفسه حينئذ تنقاد الى قوله وتخضع لرأيه وتبادر الى امتثاله والعمل به أكثر ثم كل من أبي حنيفة ومالك والشافعي رحمة الله عليهم امتاز باقليم لايعرف فيه غير اتباعه أو يكون اتباعه فيه أكثر كاقليم الحجاز واليمن ومصر والشام وحلب وعراق العرب والعجم بالنسبة للشافعي رحمه الله وكالغرب على سعته بالنسبة لمالك رحمه الله وكالروم والهند وما وراء النهر بالنسبة لابي حنيفة رحمه الله ومن ثمة قال المصنف كأبي حنيفة رحمه الله عندنا معشر الحنفية فقد وررد من طرق أي يأتي الكلام عليها مبسوطاً قريباً أبو حنيفة سراج أمتي وفضله رحمه الله وما اشتهر عنه من العبادة والورع والزهد والسخاء ودقة النظر وحدة الفكر يغني عن أن يستدل لفضله بما أطبق المحدثون على وضعه وسمع في المنام الباري تعالى يقول أنا عند علم أبي حنيفة أي بالحفظ والقبول والرضا وانزال البركة فيه وفي الآخذين به وسلم المخالفون سبقه في الفقه ومن ثمة قال الشافعي رحمه الله الناس في الفقه عيال علي أبي حنيفة وقال أيضاً من أراد ان يعرف الفقه فايلزم أبا حنيفة وأصحابه وقال أيضاً قلت لمالك كيف رأيت أبا حنيفة فقال رأيت رجلا لو كلمك في السارية ان يجعلها ذهباً لقام بحجته ولما دخل الشافعي بغداد زار قبره وصلى عنده ركعتين فلم يرفع يديه في التكبير وفي رواية أن الركعتين كانتا صلاة الصبح وانه لم يقنت فقيل له في ذلك فقال أدبا مع هذا الامام ان أظهر خلافه بحضرته وقال الفضيل بن عياض وناهيك به جلالة كان أبو حنيفة معروفا بالفقه مشهوراً بالورع ومن عظيم ورعه ما قال الامام عبد الله بن المبارك انه أراد شراء أمة فمكث عشرين سنة يستخير ويشاور من أي سبي يشتري وقال النضر

ابن شميل كان الناس نياما عن الفقه حتى أيقظهم أبو حنيفة ودخل على أمير المؤمنين المنصور وعنده عيسى بن موسى العابد الزاهد فقال للمنصور هذا عالم الدنيا فقال له المنصور عمن أخذت العلم قال عن أصحاب عمر عن عمر وعن أصحاب علي عن علي وعن أصحاب ابن مسعود عن ابن مسعود فقال المنصور لقد استوثقت ومع ذلك أراد هلاكه فى وقائع جرت له معه وراوده على أن يلي القضاء فلم يقبل فضرب مائة سوط وحبس الى ان مات فى الحبس على قول وضرب أيضاً عشرين سوطاً على أن يلي أمر بيت المال فأبى ان يقبل وكان يقول اذا جاء الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فعلى الرأس والعين أو عن أصحابه أخذنا ببعض أقوالهم ولم نخرج عنها أو عن التابعين زاحمناهم وكان يقوم كل الليل بعد ان كان يحيي نصفه فأشار اليه انسان وهو يمشى فقال هذا هو الذي يحيي كل الليل فلم يزل بعده يحيي كل الليل وقال أنا استحي من الله ان أوصف بعبادة ليست فيّ وقال بعضهم ما رأيت أصبر على الطواف والصلاة والفتيا بمكة من أبى حنيفة انما كان كل الليل والنهار فى طلب الآخرة وسمع هاتفاً فى المنام وهو فى الكعبة يقول أن يا أبا حنيفة أخلصت خدمتي وأحسنت معرفتي فقد غفرت لك أي لما كنت عليه من اخلاص الخدمة باحياء كل الليل وصيام أكثر الدهر وبذل الجهد فى نشر العلم على الوجه الا كمل واحسان المعرفة باتقان العلوم الظاهرة والباطنة والاخلاص فيها ورفض الدنيا والاعراض عنها رأساً والاقبال على الآخرة وبذل الوسع فى تحصيل أسبابها ومن هذه صفاته أقرب الى رجاء المغفرة له على وجه مخصوص لايبقى له ذرة تقصير ولمن اتبعك ببركة اخلاصك واحسانك المذكورين الى قيام الساعة وفى هذا من البشرى له ولاتباعه مايحمل الموفق منهم على بذل طاقته فى اقتفاء آثار امامه فيما كان عليه من تلك الاخلاق العلية والصفات الطاهرة الزكية التى قل أن تجتمع الا للعارفين والائمة

للمجتهدين وتتلمذ له من كبار المشايخ الأئمة المجتهدون والعلماء الراسخون كالامام الجليل المجمع على جلالته وبراعتــه وتقدمه وزهده عبـد الله بن المبارك وكالامام الليث بن مسعود وكالامام مالك ابن أنس وناهيــك بهؤلاء الأئمــة وكالامام مسعر بن كدام وزفر وأبي يوسف ومحمد وغيرهم وتحمل لتقلد القضاء أى لاجل أن يتولاه وكذا مفاتيــح خزائن بيت المــال ما تحمل من العقوبة والضرب الشديد لمــا أبى عن ذلك ايثاراً لعذاب الدنيا على عذاب الآخرة ومن ثمة لمــا ذكر عند عبد الله بن المبارك قال أتذكرون رجلا عرضت عليــه الدنيا بحذافيرها ففر منها وما خالط الظلمة مع سؤالهــم له فى ذلك والحاحهم عليه وتهديده ان لم يفعل وما قبل منهم شيئاً قط وان قل ومن ثمة لمــا أرسل اليــه أبو جعفر المنصور بعشرة آلاف درهم على يد الحسن بن القحطبة ولم يمكنه ردها أوصى ابنه حماداً انه اذا مات ودفن يردها للحسن ففعل فقال له رحمة الله على أبيــك لقد كان شحيحاً على دينه وما اشتغل بالدعوة أي بدعوة الناس الى مذهبــه الا بالاشــارة النبوية فى المنام اليــه ليدعوهم الى مذهبه بعد ما قصد الانزواء والاستخفاء عنهم تواضعاً واحتقاراً لنفسه عن أن يجعل لهــا حظاً أو يرى منها أو لهــا فعلا حسناً يستحق أن يجعل دعاية الناس الى الاقتداء والعمل به فلما جاءه الاذن ممن فوّضت اليه قسمة خزائن الله تعالي على مستحقيها علم أن ذلك أمر حتم لابد منه فدعا الناس اليه حتى ظهر مذهبه وانتشر وكثرت أتباعه وخــذلت حساده ونفع الله به شرقا وغربا وعجماً وعربا ورزق حظاً وافراً في اتباعه فقاموا بتحرير أصول مذهبه وفروعه وأمعنوا النظر في منقوله ومعقوله حتى صار بحمد الله محكم القواعد معدن الفوائد ويؤيد ذلك ماحكاه بعض أصحاب المناقب أن ثابتاً والده أتى به وهو صغير لعلي كرم الله وجهه فدعا له بالبركة ولذريته فكان ما أوتيه أبو حنيفة من بركة تلك الدعوة وما استظل بحائط المديون

حين أتاه متقاضياً تورعا منه عن أن يرتفق بشيء من آثار مدينه واعلاما للمدين انه لا يرغب فى رفق منه فان قبوله منه وان قل بطريق الشرع ينافي كمال المروءة والورع ومحاسن الاخلاق وكان له رحمه الله من ذلك ومن تجنب الشبهة ما أمكنه الحظ الوافر ومن ثمة تصدق بجميع مال أتى به وكيله اليه لما خلط به ثمن ثوب معيب بيع حال كونه مخفياً عيبه من بائعه فهو وان لم يكن عليه اثم لجهله لكن فيه شبهة مّا وانما لم يرد ثمنه لمشتريه ويسترده كأنه للجهل بالمشترى مع اليأس من العلم به فتصدق به كما يأتى مبسوطاً فى باب التوبة قيل وكان المال ثلاثين ألفاً ووقع له نظائر لذلك متعددة كما في كتب المناقب ومن عظيم ورعه وزهده ماص من قصة الجارية التى أراد ان يشتريها ومن ذلك أيضاً انه ترك لحم الغنم لما فقدت شاة فى الكوفة الى أن علم موتها لأنه سأل عن أكثر ماتعيش فقيل له سبع سنين فترك أكل لحمها سبع سنين تورعا منه لاحتمال أن تبقى تلك الشاة الحرام فيصادف أكل شئ منها فيظلم قلبه اذ هذا هو شأن أكل الحرام وان انتفى الاثم للجهل بعين الحرام ولاجل ذلك فاز أهل الورع بما سبقوا به غيرهم من نور القلوب وتأهلهم لشهود المحبوب وقيامهم فى خدمته بحسب طاقتهم واعراضهم عن القواطع عنه طوق مقدرتهم وليس ماذكر من مناقب هذا الامام يراد به حصر مناقبه فيه بل هو قطرة من بحر لاساحل له ومن غررها انه صلى الفجر بوضوء العشاء أربعين سنة فقيل لهما الذى قواك على هذا قال اني دعوت الله بأسمائه على حروف المعجم وهي مجموعة في كل من آيتين الاولى محمد رسول الله الى آخر سورة الفتح والثانية ثم أنزل عليكم من بعد الغم أمنة نعاساً الآية فى سورة آل عمران وانه كان يختم في رمضان ستين ختمة ختمة بالليل وختمة بالنهار الى غير ذلك من مناقب أخر له يعسر تعدادها فرحمه الله ورضى الله عنه وأرضاه وجعل جنات الفردوس متقلبه ومثواه انتهي كلام مختصر الاحياء مع شرحي له وبه يعلم

﴿المقدمة الثانية﴾

في بيان أمور يعمّ نفعها ويقبح بالطالب جهلها إذ به يقع في ورطة عظيمة ومهواة قبيحة غير مستقيمة فتعين ايرادها أولا وايضاح ماله بها تعلق مجملا ومفصلا ** منها عليك أيها الموفق ان أردت النجاة في الآخرة والسلامة من خطر الوقيعة في أحد من أولياء الله تعالى وورات نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم ان تعتقد أن كل واحد من الائمة المجتهدين والعلماء العاملين على هدى من الله ورضوان وانهم كلهم مأجورون في سائر الحالات باتفاق أئمة النقل والبرهان وقد روي البيهقي انه صلى الله عليه وسلم قال مهما أوتيتم من كتاب الله فالعمل به فلا عذر لاحد في تركه فان لم يكن في كتاب الله فسنة ماضية مني فان لم تكن سنة مني فما قال أصحابي ان أصحابي بمنزلة النجوم في السماء فأيما أخذتم به اهتديتم واختلاف أصحابي لكم رحمة ففيه إخباره صلى الله عليه وسلم باختلاف المذاهب بعده في الفروع من منذ زمن أصحابه الذي هو زمان الهدى والارشاد المشهود له من مشرّفهم بأنه خير القرون على الاطلاق ويلزم من اختلافهم اختلاف من بعدهم لأن كل صحابي مشهور بالفقه والرواية أخذ بقوله ومذهبه جماعة ومع ذلك رضي به صلى الله عليه وسلم وأقرهم عليه ومدحهم حتى جعل نفس ذلك الاختلاف رحمة للأمة وخيرهم في الأخذ بقول من شاؤا من أصحابه اللازم له الأخذ وبقول من أرادوا من المجتهدين بعدهم الجارين على منوالهم والسالكين لمسالكهم في أقوالهم وأفعالهم وقد أقر صلى الله عليه وسلم اختلاف أصحابه في وقائع جرت لهم في زمنه ولم يعترض أحداً فيما قاله ورآه مخالفا لما قاله نظيره ورآه كما يشهد بذلك وقائع كثيرة شهيرة من ذلك قصة اختلافهم في أسرى بدر

فأبو بكر ومن تبعه أشاروا بأخذ الفداء منهم وعمر ومن تبعه أشاروا بقتلهم فحكم صلى الله عليه وسلم بالأول ونزل القرآن بتفضيل الرأي الثاني مع تقرير الرأى الاول ففيه أوضح دليل على تصويب الرأيين وان كلا من المجتهدين مصيب ولو كان الرأى الاول خطأ لم يحكم به صلى الله عليه وسلم وقد أخبر تعالى بأنه عين حكمه بقوله لولا كتاب من الله سبق وطيب الفداء بقوله تعالي فكلوا مما غنمتم حلالا طيباً وانما وقع العتب على اختيار غير الافضل ومن ثمة كان أكثر ما يقع الترجيح فى المذاهب بالنظر الي الافضل من حيث قوة الادلة والقرب من الاحتياط والورع وذلك في مسائل معدودة لا من حيث مجموع المذهب وأما بالنظر الى التصويب فكله صواب وحق لا شبهة فيه ومن هذا كانت طريقة الصوفية أعدل الطرق وأفضلها وهي الأشد والأحوط فى كل مسئلة بحيث يخرجون من جميع الأقاويل ويأتون بعبادة مجمع على صحتها ويوافق ذلك قول أئمتنا يسن الخروج من كل خلاف لم يضعف مدركه ولم يخالف سنة صحيحة أي مخالفة صريحة لا يمكن تأويلها وقد صرحوا بانه يسن الوضوء من كل ما قيل فيه انه ناقض وكان ابن شريح يغسل أذنيه مع وجهه ويمسحهما مع رأسه ويمسحهما منفردتين احتياطاً فى الكل وخروجا من الخلاف ** ومن ذلك أيضاً قصة اختلافهم في قوله صلى الله عليه وسلم حين أراد غزو بني قريظة لا يصلين أحد الظهر إلا في بني قريظة فانهم لما خرجوا من المدينة اليهم وقد ضاق وقت الظهر اختلفوا فصلى جماعة منهم الظهر خشية خروج وقتها واحتجوا بأنه صلى الله عليه وسلم انما قال ذلك تحريضاً على الاستعجال ولم يرد اخراج الصلاة عن وقتها فاستنبطوا من النص معنى بينوا به أن الحصر فى قوله الا فى بني قريظة اضافي لا حقيقي وامتنع آخرون عن صلاة الظهر الى أن وصلوا بنى قريظة بعد دخول وقت العصر واحتجوا بانه صلى الله عليه وسلم أطلق الحصر ولم يبينه فكان المراد به حقيقته

ثم بلغه اختلافهم وفعلهم فلم ينكر على أحد من الفريقين وأقر كلا على ما فهمه اشارة الى أن الكل مجتهدون مأجورون على هدى من الله تعالى فلا لوم على أحد منهم ولا ينسب اليه خلل ولا تقصير ولا سيما مع استحضارك لقوله صلى الله عليه وسلم فأيما أخذتم به اهتديتم فجعل الكل مهتدين فكيف مع ذلك ينسب لأحد منهم خطأ أو تقصير وأخرج بن سعد والبيهقي عن أبي بكر رضي الله عنه انه قال كان اختلاف أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم رحمة للناس وأخرج ابن سعد عن عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه انه قال ما يسرني باختلاف أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم حمر النعم رواه البيهقى بلفظ ما يسرنى أن أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم لم يختلفوا لأنهم لو لم يختلفوا لم يكن رخصة ولما أراد هرون الرشيد أن يعلق موطأ مالك فى الكعبة ويحمل الناس على ما فيه قال له مالك لاتفعل يا أمير المؤمنين فان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اختلفوا فى الفروع وتفرقوا فى البلدان وان اختلاف العلماء رحمة من الله تعالى على هذه الأمة كل يتبع ما صح عنده وكل مصيب وكل على هدي فقال له هرون وفقك الله يا أبا عبد الله ووقع له ذلك مع المنصور أيضاً لما أراد ان يرسل الى كل مصر نسخة من كتب مالك ويأمرهم أن يعملوا بما فيها ولا يتعدوه الى غيره فقال له مالك لا تفعل هذا فان الناس قد سبقت اليهم أقاويل وسمعوا أحاديث ورووا روايات وأخذ كل قوم بما سبق اليهم ودانوا بها من اختلاف الناس فدع الناس وما اختار أهل كل بلد منهم لأنفسهم وبما تقرر يظهر اتجاه القول بان كل مجتهد مصيب وان حكم الله تعالى في كل واقعة تابع لظن المجتهد وهو أحد القولين للائمة الأربعة ونسب ترجيحه لأكثر الشافعية والحنفية والباقلاني ولاينافيه الخبر الصحيح المصرح بان للمصيب أجرين وللمخطيء أجر لأنه محمول كما قال الحافظ الجلال السيوطى على أن المخطيء من المجتهدين انما أخطأ فى عدم ادراكه الأفضل والأولى كما عتب على الصحابة فى اختيار الفداء لأنه غير الأفضل

مع انه حكم صواب وقد قال الفقهاء فيمن صلى رباعية إلى أربع جهات كل ركعة الى جهة بالاجتهاد لا قضاء عليه مع القطع بأن ثلاث ركعات منها الي غير القبلة واختلف اجتهاد عمر رضى الله عنه فى الحد يقضي فيه بقضايا مختلفة وكان يقول ذلك على ما قضينا وهذا على ما نقضى وأخرج البيهقى مرسلا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقضي القضاء وينزل القرآن بغير ما قضى فيستقبل حكم القرآن ولا يرد قضاءه الأول انتهى وفيما قاله واستدل به نظر واضح لا سيما ما ذكره آخراً إذ اجتهاده صلى الله عليه وسلم معصوم من الخطأ على الصواب بخلاف اجتهاد غيره ونقل الكردري عن الشافعى رحمه الله ان المجتهدين القائلين بحكمين متباينين بمنزلة رسولين جاءا بشريعتين مختلفتين وكلاهما حق وصدق وقال الإمام المازري القول بان الحق فى طرفين هو ما عليه أكثر أهل التحقيق من العلماء والمتكلمين وهو مروي عن الأئمة الأربعة واحتجوا بانه صلى الله عليه وسلم جعل له أجراً ولولم يصب لم يؤجر وأجابوا عن اطلاق الخبر بانه محمول على من ذهل عن النص واجتهد فيما لا يسوغ الاجتهاد فيه من القطعيات مما خالف الاجماع فان مثل هذا اذا اتفق الخطأ فيه هو الذي يصح اطلاق الخطأ فيه وأما من اجتهد فى مسئلة ليس فيها نص أي قاطع ولا اجماع فلا يطلق عليه الخطأ وأطال الامام المازري فى تقرير ذلك وفى الشفاء لعياض القول بتصويب المجتهدين هو الحق والصواب عندنا وقد قال صاحب جمع الجوامع والمتكلمون عليه ونعتقد ان أباحنيفة ومالكا والشافعى واحمد والسفيانين والأوزاعي وابن جرير وسائر أئمة المسلمين على هدى من الله تعالى ولا التفات الى من تكلم فيهم بما هم بريئون منه فقد أوتوا من العلوم اللدنية والمواهب الالهية والاستنباطات الدقيقة والمعارف الغزيرة والدين والورع والعبادة والزهادة والجلالة بالمحل الذى لا يسامي انتهى ورأى بعض الأئمة النبي صلى الله عليه وسلم وسأله عن اختلاف المجتهدين فقال كل في

اجتهاده مصيب فذكر له الرائى قول أبي حنيفة المجتهدان مصيبان والحق فى واحد وقول الشافعى المجتهدان مصيب ومخطئ معفو عنه فقال صلى الله عليه وسلم هما قريبان فى المعنى وان كانا مختلفين فى اللفظ فقلت أيهما أولى بالأخذ من الفريقين فقال صلى الله عليه وسلم كلاهما على الحق ** ومنها عليك أيضاً ان تعتقد ان اختلاف أئمة المسلمين من أهل السنة والجماعة فى الفروع نعمة كبيرة ورحمة واسعة وفضيلة واضحة وله سر لطيف أدركه العلماء العاملون وعمي عنه الجاهلون حتى قال بعضهم ان النبي صلى الله عليه وسلم جاء بشرع واحد فمن أين مذاهب أربعة ووجه ذلك ان الله تعالي خص هذه الشريعة برفعه عن أهلها الآصار والأثقال التي كانت على الأمم قبلها كتحتم القصاص فى شريعة موسى عليه السلام لأنه أرسل بالجلال الصرف وتحتم الدية في شريعة عيسى عليه السلام والتخيير بينهما في شريعتنا وكقرض محل النجاسة من البدن في شرعهم وغسلها بالماء فى شرعنا وكامتناع النسخ فى شريعة اليهود وجوازه في شرعنا ومن ثمة استعظموا نسخ القبلة وككتبهم فانها لا تقرأ إلا على حرف واحد وكتابنا يقرأ على حروف سبعة بل عشرة كل ذلك لقوله تعالى يُريد الله بكم اليسر ولا يُريد بكم العسر وقوله عزّ قائلا وما جعل عليكم فى الدين من حرج وقال صلى الله عليه وسلم بعثت بالحنيفية السمحة فمن سماحتها ويسرها ورفع الآصار عنها وقوع اختلاف أئمتنا فى الفروع لتكون المذاهب على اختلافها كشرائع متعددة حتى لا يضيق الأمر عليهم بالتزام شئ واحد وحتى يثاب كل عامل بمذهب صحيح ويمدح عليه وحتى ان من رأى له فسحة في غير مذهبه جاز له بشرطه الانتقال اليه والعمل به وكل هذه نعم عظيمة الموقع واسعة الرفق لا سيما وهي مؤذنة بغاية رفعته صلى الله عليه وسلم وتميزه على بقية الأنبياء بالتوسعة لأجله على أمته بتخييرهم فى الأمر الواحد بالعمل بكل ما فيه سهولة لهم لتصويب كل مجتهد منهم ومدحه

وان فرض خطأه وقد قرر السبكي ان جميع الشرائع السابقة شرائع له صلى الله عليه وسلم والأنبياء صلوات الله عليهم كالنواب عنه لأنه نبي وآدم بين الروح والجسد فهو إذ ذاك نبي الانبياء وهذا هو معنى قوله صلى الله عليه وسلم بعثت الى الناس كافة فهو مبعوث الى الخلق كلهم من لدن آدم الى قيام الساعة انتهى واذا تقرر ان شرائع الأنبياء شرائع له زيادة في تعظيمه فالشرائع التى استنبطها أصحابه وتابعوهم باحسان من أقواله وأفعاله على تنوعها شرائع متعددة له من باب أولى خصوصاً وقد أخبر بوقوعها ووعد بالهداية على الأخذ بها ورضي بها ومدحنا عليها وجعل ذلك رحمة ايّ رحمة ومنة أى منة كما مرّ بيان ذلك ومن ثمة لما جعل اختلاف هذه الأمة رحمة أخبر بان اختلاف الامم السابقة هلاك وعذاب اى لانهم لم يوسع لهم كما وسع لهذه الامة فكان اختلافهم محض كذب وتقوّل على انبيائهم بما هم بريئون منه **ومنها يتأكد عليك غاية التأكد الذي لا رخصة فيه ان لا تفضل بعض المذاهب على بعض تفضيلا يؤدي الى تنقيص المفضل عليه فان ذلك يؤدي الى المقت والخزي في الدنيا والآخرة وسيأتى عن الله تعالى انه قال من آذى لي ولياً فقد آذنته بالحرب وعلماء المسلمين العاملون كلهم أولياء الله تعالى من غير شك ولا ريب وكثير ما يؤدى التفضيل الى الخصام القبيح بين السفهاء ومن لا خلاق لهم ولا دين ولا تقوى الى أن يظهر من بعضهم قبيح العصبية وحمية الجاهلية ويفضى ذلك بهم الى ترجيح مذهب امامه واطلاق لسانه فى غيره بعدم أدب وغفلة تامة عما يترتب بسبب ذلك من المقت والخزى والى أن ينتصر بعض مقلدى مخالفيه لامامه فيرد على الاول ويطلق لسانه فيه ويتعدى الى امامه ويطلق لسانه فيه زاعماً ان ذلك من باب مقابلة الفاسد بالفاسد ولو عرض كلام كل منهما على امامه لزجره عنه وتبرأ منه وهجره لاجله ولوقوعه بقبيح ما ارتكبه فى شرك المقت والردى اذ ربما أيس من موته على الهدي وقد أخبر

ابن عباس رضى الله عنهما بان سبب هلاك الامم السابقة مراؤهم وخصوماتهم في دين الله حفظنا الله من وعير هذه المسالك وحشرنا في زمرة أولئك الائمة فاننا نحبهم و نعظمهم بما نرجو به ان نحشر معهم علي الارائك اذ من أحب قوماً حشر معهم كما أخبر به مورثهم ومشرفهم وكفى من انتقص أحداً منهم أن يحرم هذه المرافقة في ذلك المجمع الاكبر وان ينادى عليه فيه هذا عدو أولياء الله فليس له الا الخزي والعذاب في المحشر

﴿ المقدمة الثالثة فيما ورد من تبشير النبي صلى الله عليه وسلم ﴾

(بالامام ابي حنيفة رحمه الله)

اعلم ان أعظم ذلك وأجله وأوضحه وأكمله ما أخرجه البخاري ومسلم عن أبي هريرة وأبو نعيم عنه والشيرازى والطبراني عن قيس بن سعد بن عبادة والطبرانى عن ابن مسعود رضي الله عنه ان النبي صلي الله عليه وسلم قال لو كان العلم عند الثريا لتناوله رجال من أبناء فارس ولفظ الشيرازى وأبي نعيم لو كان العلم معلقاً عند الثريا ولفظ الطبراني عن قيس لا تناله العرب لناله رجال من ابناء فارس ولفظ مسلم لو كان الايمان عند الثريا لتناوله رجال من أبناء فارس قال الحافظ المحقق الجلال السيوطي هذا أصل صحيح يعتمد عليه في البشارة بأبي حنيفة رحمه الله وفى الفضيلة التامة له نظير الحديث الذى في مالك رحمه الله وهو قوله صلى الله عليه وسلم يوشك ان يضرب الناس اكباد الابل يطلبون العلم فلا يجدون أعلم من عالم المدينة والحديث الذى في الشافعي رحمه الله وهو قوله صلى الله عليه وسلم لا تسبوا قريشاً فان عالمها يملأ الارض علماً وهو حديث حسن له طرق كثيرة وزعم بعضهم وضعه وزيفوه وشنعوا

علي زاعمه ومخترعه قال العلماء عالم المدينة فى الحديث الاول مالك وعالم قريش فى الحديث الثانى الشافعي قال بعض تلامذة الجلال وما جزم به شيخنا من أن الامام أبا حنيفة هو المراد من هذا الحديث ظاهر لا شك فيه لأنه لم يبلغ أحد اي فى زمنه من أبناء فارس فى العلم مبلغه ولا مبلغ أصحابه وفيه معجزة ظاهرة للنبي صلى الله عليه وسلم حيث أخبر بما سيقع وليس المراد بفارس البلد المعروف بل جنس من العجم وهم الفرس وسيأتى ان جد الامام أبى حنيفة منهم علي ما عليه الاكثرون وفى خبر عند الديلمي خير العجم فارس قال الجلال وبهذا الخبر أى المتفق على صحته يستغنى عن الخبر الموضوع المروي فى حق أبى حنيفة رحمه الله قال تلميذه المذكور أشار شيخنا بهذا الى رد ماذكره بعض أصحاب المناقب ممن ليس له دراية بعلم الحديث فان فى سنده كذابين وضاعين ولفظ خبرهما يكون فى أمتي رجل يقال له ابو حنيفة هو سراج أمتي الي يوم القيامة وفى لفظ يكون فى أمتى رجل اسمه النعمان وكنيته أبو حنيفة هو سراج أمتى هو سراج أمتي وفى لفظ سيأتي من بعدى رجل يقال له النعمان بن ثابت ويكنى أباحنيفة يحيي دين الله تعالى وسنتى على يديه وفى لفظ فى كل قرن من أمتي سابقون وأبو حنيفة سابق هذه الامة وفى لفظ عن ابن عباس رضي الله عنهما يطلع بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم بدر على جميع خراسان يكنى بابى حنيفة وفي لفظ آخر عنه ان الرأى الحسن وانه يكون بعدنا رأى حنيف تجرى به الاحكام مابقى الاسلام وانه كرأينا وأحكامنا يقوم به رجل يقال له النعمان بن ثابت الكوفي ويكنى بأبي حنيفة وهو من أهل الكوفة جهبذ فى العلم والفقه يصرف الاحكام على وجهها حنيفي الدين والرأى الحسن وفى لفظ عن ابن سيرين انه لما قص عليه منامه الآتى قال له اكشف عن ظهرك ويسارك فكشف فرأى بين كتفيه أو عضد يساره خالا فقال صدقت أنت أبو حنيفة الذى قال رسول

الله صلى الله عليه وسلم في حقه يخرج من أمتي رجل يقال له أبو حنيفة بين كتفيه وفى رواية على يساره خال يحيا دين الله تعالى وسنتي على يديه وهذه كلها موضوعات لاتروج على من له أدنى المام بنقد الحديث وقد أوردها ابن الجوزى فى الموضوعات وأقره الذهبي وشيخنا الحافظ الجلال السيوطي في مختصريهما والحافظ أبو الفضل شيخ الاسلام ابن حجر في لسان الميزان وتبعهم الامام الحافظ الذى انتهت اليه رياسة مذهب أبي حنيفة فى زمنه الشيخ قاسم الحنفي ومن ثمة لم يورد شيئاً منها أئمة الحديث الذين صنفوا فى مناقبه كالطحاوي وصاحب طبقات الحنفية محي الدين القرشي وآخرين كلهم حنفيون ثقات أثبات نقاد لهم اطلاع كثير انتهي حاصل كلام تلميذه الجلال رحمهما الله تعالى ومن اطلع على مايأتي في هذا الكتاب من أحوال الامام أبي حنيفة وكراماته واخلاقه وسيرته علم انه غني عن ان يستشهد على فضله بخبر موضوع أو لفظ موضوع لاسيما مع ماتقرر من حديث البخارى ومسلم وغيرهما المحمول على أبي حنيفة نظراً أنه من العجم وكمن هو أعلى منه وأجل كسلمان الفارسي رحمه الله ومما يصلح للاستدلال به على عظم شأن أبي حنيفة رحمه الله ماروي عنه صلى الله عليه وسلم انه قال ترفع زينة الدنيا سنة خمسين ومائة ومن ثمة قال شمس الائمة الكردري بفتح الكاف ان هذا الحديث محمول على أبي حنيفة لانه مات تلك السنة رحمة الله عليه

﴿الفصل الاول في بيان الاسباب الحاملة على تأليف هذا الكتاب﴾ الاول ماجاء عن عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم بسند حسن بل ذكره مسلم في مقدمة صحيحه وابن خزيمة فى صحيحه قالت أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ننزل الناس منازلهم وفي رواية للخرائطى أنزل الناس منازلهم في الخير والشر وفى أخرى أنزلوا الناس منازلهم وداروا الناس بعقولكم وجاء عن علي كرم الله وجهه من أنزل الناس منازلهم رفع المؤنة عن نفسه • الثانى

انه وقع فى تاريخ الخطيب ومنتظم أبي الفرج ابن الجوزى ذكر أشياء تنافى كمال أبي حنيفة رحمه الله على ان الخطيب ذكر من فضائله بعد ذلك بأسانيده المشهورة مايبهر العقل ذكره بل كل من جاء بعده انما يستمد فى ترجمة الامام منه وكذلك وقع في المنخول المنسوب للامام الغز الى حجة الاسلام ذكر أشياء من ذلك وانما قلنا المنسوب لانه لم يصح نسبة جميع مافى هذا الكتاب اليه فيحتمل أن تكون تلك الالفاظ الشنيعة اختلقت عليه بدليل انه مدحه في كتاب احياء علوم الدين المتواتر عنه بما يليق بكمال أبى حنيفة رحمه الله وأجاب بعض المحققين من الحنفية كما مر بانه بتقدير صدور هذا من الغزالى فهو فى حال ابتداء أمره حين كان على شأن الفقهاء المتعصبين فلما توقى عن ذلك وطهر أخلاقه ووصل الي ماوصل اليه من الكمالات رجع عن ذلك وذكر الحق فى كتاب الاحياء كما يدل لذلك قوله فيما حدث من الخلافيات والمجادلات فيها والتحريرات والتصنيفات فاياك وان تحوم حولها فاجتنبها اجتناب السم القاتل فانه الداء العضال وهو الذى رد الفقهاء كلهم لطلب المنافسة والمباهاة على ماسيأتيك تفصيل غوائلها وآفاتها وهذا الكلام ربما يسمع من قائله فيقال الناس أعداء ماجهلوا ولاتظنن ذلك فعلى الخبير سقطت وأقبل هذه النصيحة ممن ضيع عمره فيه زمانا وزاد فيه على الاولين تصنيفاً وتحقيقاً وجدلا وبيانا ثم الهمه الله تعالي رشده وأطلعه على عيبه فهجره واشتغل بنفسه انتهى وكذلك وقع كما مر بسط الكلام فيه من بعض المتعصبين ممن يسمى بالغزالى حتى ظن انه الامام حجة الاسلام وليس كذلك وانما هو شخص آخر مجهول له تأليف مستقل فى الحط الشنيع على أبى حنيفة رحمه الله مع نزاهته وبراءته عما نسب اليه فيه على انه غير بعيد ان بعض الزنادقة والمحرومين من الخير اختلق ذلك ونسبه الى ذلك الامام الكبير والعلم الشهير الذي هو حجة الاسلام ليروج على الناس ما افتراه فكان بسبب ذلك ممن أضله الله وأعماه

فحينئذ تعين على كل من قدر على تزييف مافى الكتب وتسفيهه أن يبطل جميع مافيها وان يكذب واضعيها ومختلقيها بما أطبق عليه العلماء المعتبرون والائمة المجتهدون من تعظيم ذلك الامام الاعظم والحبر المقدم امتثالا للاحاديث السابقة واللاحقة • الثالث تبيين خطأ المتعصبين فى قولهم ماتكلمنا في أبى حنيفة وغيره الا لأن ذلك متعين علمه علينا لتباين أحوال الرجال وتمايز أوصافهم التى عليها مدار الرواية والنقد والكمال وكلامهم هذا من منوال كلام الخوارج الذي قال فيه علي كرم الله وجهه لما احتجوا عليه به كلمة حق أريد بها باطل فكذلك كلام أولئك كلام حق في نفسه لكن اريد به باطل وأي باطل اذ لم يعتمدوا فى ذلك الا على كلمات صدرت من بعض معاصريه فى حقه حسداً له على ما آتاه الله تعالى من فضله أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله وكذا صدر من بعض من جاء بعده كلمات نسبوها اليه لا تصدر ممن له أدنى كمال بل دين وليس قصدهم الاشينه واخمال ذكره ويأبى الله الا ان يتم نوره ولو كره المشركون وكفاهم فى زجرهم ونكالهم ماجاء عن النبي صلى الله عليه وسلم بسند جيد أيما رجل أشاع على رجل بكلمة وهو منها بريء يشينه بها في الدنيا كان حقاً على الله تعالى أن يحبسه في جهنم حتي يأتى بنفاذ ماقال وفي رواية صحيحة من قال فى مؤمن بما ليس فيه أسكنه الله تعالى في ردغة الخبال حتي يخرج مما قال وليس بخارج وردغة الخبال بفتح فسكون الدال المهملة فمعجمة فخاء معجمة مفتوحة فموحدة عصارة أهل النار كما في حديث مرفوع • الرابع تبيين أنه رحمه الله كسائر أئمة الاسلام ممن صدق عليهم قوله تعالى ألا ان أولياء الله لاخوف عليهم ولاهم يحزنون الذين آمنوا وكانوا يتقون لهم البشرى فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ووجه ذلك الصدق أن كلا من أولئك الائمة المجتهدين والعلماء العاملين صحت عنه كمالات باهرة للعقول وأحوال وكرامات لاينكرها الا المعاند الجهول فهم الاولياء على

الحقيقة والجامعون بين الحقيقة والشريعة واذ قد تمهد ذلك فمنتقص أحد منهم ممن حقت عليه كلمة الطرد والمقت كيف وهو قد أدخل نفسه فيما لا طاقة له به من محاربة الله تعالى ورسوله ومن حارب الله هلك هلاكا أبديا نعوذ بالله من ذلك والدليل على هذا مارواه الائمة البخارى وغيره من طرق كثيرة تزيد على خمسة عشر طريقاً عن جماعة من الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ان الله تعالى قال من عادى أو أذل أو آذى أو أهان روايات لي ولياوفى رواية ولى المؤمنين فقد آذنته أى اعلمته بالحرب وفى رواية فقد استحل محاربتي وفى أخرى فقد بارزني بالمحاربة وقوله لى ظرف لغو ويجوز أن يكون مستقراً لانه حال قدمت على صاحبها لتنكيره والمحاربة فيه من باب يخادعون الله وعاقبت اللص وحكمة ايثاره المخاطبة بما يفهم اذ الحرب ينشأ عن العداوة الناشئة عن المخالفة وغايتها اللازمة لها الهلاك أى من كره من أحببته عادانى وعاندني ومن عاندنى فقد تعرض لاهلاكى اياه أشد الهلاك وأفظعه فأطلق الحرب وأريد لازمها واذ قد علمت هذا علمت أن فيه من الوعيد الشديد والزجر الاكيد والمنع البليغ مايحمل من له أدنى مسكة من عقل فضلا عن دين على أن يجتنب الخوض في شيء مما ينتقص به أحداً من أئمة الاسلام ومصابيح الظلام وأن يبالغ فى البعد عن ايذائهم بوجه من الوجوه فانه يؤذى الاموات مايؤذي الاحياء وكيف يسع أحداً أن يقدم على شيء من ذلك والله تعالى يقول انى لاغضب لأوليائى كما يغضب الليث للجرو وفى رواية عند الامام أحمد رحمه الله عن وهب بن منبه قال قال الله عزوجل لموسى عليه السلام حين كلمه ربه جل وعلا اعلم أن من أهان لى ولياً فقد بارزني بالمحاربة وناوانى وعرض نفسه ودعاني اليها وأنا أسرع شيء الى نصرة أوليائى أفيظن الذى يحاربني أن يقاومني أو يظن الذي يبارزنى أن يعجزني أو يسبقني أو يفوتني كيف وأنا ثائر لهم في الدنيا والآخرة فلا أكل نصرتهم الى

غيري فتأمل ثم تأمل واحذر أن تخوض غمرة هذه اللجة المهلكة فان الله لايبالي بك في أي وادٍ هلكت ومن ثمة قال الحافظ أبو القاسم بن عساكر في كتابه تبيين كذب المفترى فيما نسب للامام أبي الحسن الاشعرى لحوم العلماء مسمومة وهتك أستار منتقصيهم معلومة وقال أيضاً لحوم العلماء سم من شمها مرض ومن ذاقها مات قال وقد جمع العلماء فضائلهم واعتنوا بسيرهم وأخبارهم فمن قرأ فضائل أبي حنيفة ومالك والشافعي رحمهم الله بعد فضائل الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم أجمعين واعتنى بها ووقف على كريم سيرهم وهديهم كان ذلك له عملا زاكياً نفعنا الله تعالى بحب جميعهم ومن لم يحفظ من أخبارهم الا مايذكر من قول بعضهم فى بعض على الحسد والهفوات والغضب حرم التوفيق ودخل فى الغيبة وحاد عن الطريق جعلنا الله واياك ممن يستمع القول فيتبع أحسنه آمين • الخامس ان أئمة حفاظاً ترجموا هذا الامام وأطالوا فى ترجمته قديماً وحديثاً فقصدت أن أنتظم فى سلكهم لتعود عليّ بركة هذا الامام كما عادت عليهم وقد روي ابن الجوزي عن سفيان بن عيينة انه قال عند ذكر الصالحين تتنزل الرحمة وان ألخص جميع ماذكروه بأوجز عبارة وأبلغ اشارة معرضاً عن ذكر الاسانيد معوّلا على مابسطوه منها في كتبهم مما يزيل الشك والترديد لاعراض الناس عن المطولات واكبابهم على المختصرات لما ان الهمم قد تقاصرت والاغراض الفاسدة المنافية للدأب فى العلوم قد تكاثرت فلا ترى الا ولهانا أمسك أشعة القمر يحسبها قضبان الذهب أو غريقاً فى بحر شهواته التى أشغلته عن التطلع الى أدنى كمال أو أدب

﴿الفصل الثاني في ذكر نسبه﴾ اختلفوا فيه فقال أكثرهم وصححه المحققون انه من العجم وعليه ما أخرج الخطيب عن عمر بن حماد ولده انه ابن ثابت بن زوطى أى بضم الزاى كموسى وبفتحها كسلمى ابن ماه من أهل كابل أي بضم الموحدة بلدة من اقليم بناحية الهند ملكه بنو تيم الله بن ثعلبة فاسلم

فاعتقوه فولد ثابت على الاسلام وقيل من أهل الانبار بفتح الهمزة ثم انتقل لنسا بفتح أوليه وبالقصر فولد له بها أبو حنيفة فلما ترعرع انتقل به وقيل من أهل ترمذ ولا مانع انه نزل هذه البلاد الاربعة فنقل كل ماحفظه وترمذ بتثليث أوله وضم الميم وكسرها وبالذال المعجمة مدينة على طرف جيحون وأخرج أيضاً عن اسمعيل بن حماد أخي عمر المذكور انه قال ان ثابت بن النعمان بن المرزبان أى بفتح فسكون فضم الزاي وقد يفتح معرب الرئيس من أبناء فارس الاحرار والله ماوقع لنا رق قط ذهب ثابت الى الامام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه صغيراً فدعا له بالبركة فيه وفى ذريته ونحن نرجو من الله أن يكون استجاب ذلك فينا وأهدى النعمان الى علي كرم الله وجهه فالوذجا يوم النيروز أى بفتح أوله معرب يوم جديد من أعيادهم فقال نوروزنا كل يوم وقيل كان المهرجان أى معرب محبة الروح هكذا مركب من مهر بكسر أوله وجان فقال علي كرم الله وجهه مهرجونا كل يوم وتخالف الاخوين فى أن والد ثابت النعمان أوزوطي وجده المرزبان أوماه أجبت عنه بأنه يحتمل أن يكون لكل اسمان أو اسم ولقب أو معنى زوطي النعمان والمرزبان ماه وتخالفهما فى مس الرق يجاب عنه بأن من أثبته أراد في الجد ومن نفاه أراد في الاب الذى هو ثابت لكن قال ولد لاسمعيل المذكور انهم موالى وان المسبي من كابل هو ثابت فاشترته امرأة من بني تيم الله فأعتقته وقيل ثابت ابن طاوس بن هرمز ملك بني ساسان وقيل انه عربى فزوطى من بني يحيي ابن زيد وفي نسخة ابن راشد الانصاري ورد وقد رجح جماعة من أصحاب المناقب مامر عن حفيديه فانهما أعرف بنسب جدهما

﴿الفصل الثالث في مولده﴾ الاكثرون على انه ولد سنة ثمانين بالكوفة فى خلافة عبد الملك بن مروان وردوا ماشذ به بعضهم أنه ولد سنة احدى وستين

﴿الفصل الرابع في اسمه﴾ اتفقوا على انه النعمان وفيه سر لطيف اذ أصل

للنمان الدم الذي به قوام البدن ومن ثمة ذهب بعضهم الى أنه الروح فأبو حنيفة رحمه الله به قوام الفقه ومنـه منشأ مداركه وعويصاته أو نبت أحمر طيب الريح الشقيق أو الارجوان بضم الهمزة فأبو حنيفة رحمه الله طابت خلاله وبلغ الغاية كماله أوفعلان من النعـمة فأبو حنيفة نعمة الله على خلقه وتحذف أل عند التنكير والنداء والاضافة وحذفها لغير ذلك نادر وقال ابن مالك حذفها واثباتها سيان واعترض وعندي ان كنيته أبو حنيفة مؤنث حنيف وهو الناسك أو المسلم لان الحنف الميل والمسـلم مائل الى الدين الحق قيل سبب تكنيته بذلك ملازمته للدواة المسماة حنيفة بلغة العراق وقيل كانت له بنت تسمى بذلك ورد بانه لايعلم له ولد ذكر ولا أنثى غير حماد وأخرج الخطيب وغيره عنه بسند فيه انقطاع لايكنى بكنيتي بعدى الا مجنون قالوا فرأينا عدة تكنوا بها وكانت عقولهم ضعيفة وعورضوا بانه كني بها نحو ثلاثين وكانوا أئمة علماء كالايقانى والدينورى ولم يسبق بهذه الـكنية نعم وجدت لتابعين مجهولين

﴿ الفصل الخامس فى صورته ﴾ قال أبو يوسف رحمه الله كان ربعة من أحسن الناس صورة وأبلغهم نطقاً وأكملهم ايراداً وأحلاهم نغمة وأبينهم حجة على مايريد وقال حماد ولده كان طويلا يعلوه سمرة جميلا حسن الوجـه هيوبا لايتكلم الا جوابا ولا يخوض فيما لايعنيـه ولا تنافى بين كونه ربعة وبين كونه طويلا لانه قد يكون مع كونه ربعة أقرب الى الطول كما حررته في شرح شمائل الترمذي وقال ابن المبارك كان حسن الوجه حسن الثياب

﴿ الفصل السادس فيمن أدركه من الصحابة رضي الله عنهم ﴾ صح كما قاله الذهبي انه رأى أنس بن مالك وهو صغير وفي روايةرأيته مراراً وكان يخضب بالحمرة وأكثر المحدثين على أن التابعي من لقى الصحابي وان لم يصبه وصححه النووي كابن الصلاح وجاء من طرق انه روي عن أنس أحاديث ثلاثة لكن قال أئمة الحديث مدارها على من أتهمه الائمة بوضع الاحاديث وفى فتاوى شيخ

الاسلام ابن حجر انه أدرك جماعة من الصحابة كانوا بالكوفة بعد مولده سنة
ثمانين فهو من طبقة التابعين ولم يثبت ذلك لاحد من أئمة الامصار المعاصرين
له كالاوزاعى بالشام والحمادين بالبصرة والثورى بالكوفة ومالك بالمدينة الشريفة
والليث بن سعد بمصر انتهي وحينئذ فهو من اعيان التابعين الذين شملهم
قوله تعالى والذين اتبعوهم باحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه وأعد لهم
جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ابداً ذلك الفوز العظيم وذكر جماعة
ممن صنف فى المناقب وغيرهم أنه سمع ايضاً من جماعة من الصحابة غير انس
منهم عمرو بن حريث واعترض بان الصحيح انه مات سنة خمس وثمانين والقول
بانه عاش الى سنة ثمان وتسعين لم يثبت واجيب بان الصواب الذى عليه جمهور
المحدثين واستقر عليه العمل ان الصغير اذا ميز صح سماعه وان كان ابن خمس
سنين ومنهم عبدالله بن انيس الجهنى واعترض بانه مات سنة اربع وخمسين
واجيب بان هذا اسم لخمسة من الصحابة فلعل من روى عنه ابو حنيفة واحد
غير الجهني المشهور ورد بان غير هذا لم يدخل الكوفة واخرج بعضهم بسنده
الى ابى حنيفة قال ولدت سنة ثمانين وقدم عبد الله بن انيس صاحب رسول
الله صلى الله عليه وسلم الكوفة سنة اربع وتسعين ورأيته وسمعت منه
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حبك الشيء يعمى ويصم واعترض بان هذا
السند مجهول وبان الذي دخل الكوفة ابن أنيس الجهني وقد تقرر انه مات
قبل ولادة أبي حنيفة بدهر ومنهم عبد الله بن الحارث بن جزء الزبيدي بفتح
الجيم وسكون الزاي وبالهمزة والزبيدى بضم الزاى مصغراً واعترض بانه مات
سنة ست وثمانين بمصر أى بسفط أبي تراب قرية من الغربية قريب سمنود
والمحلة وكان مقيما بها وأما ماجاء عن أبي حنيفة من أنه حج مع أبيه سنة ست
وتسعين وانه رأى عبد الله هذا يدرس بالمسجد الحرام وسمع منه حديثاً فرده
جماعة منهم الشيخ قاسم الحنفى من مشايخ مشايخنا بأن سنده ذلك فيه قلب وتحريف

وفيه كذاب اتفاقا وبان ابن جزء مات بمصر ولابي حنيفة ست سنين وبأن عبدالله بن جزء لم يدخل الكوفة فى تلك المدة ومنهم جابر بن عبدالله واعترض بانه مات سنة تسع وسبعين قبل ولادة ابي حنيفة بسنة ومن ثمة قالوا فى الحديث المروي عن ابي حنيفة عن جابر انه صلى الله عليه وسلم امر من لم يرزق ولداً بكثرة الاستغفار والصدقه ففعل فولد له تسعة ذكور انه حديث موضوع ومنهم عبد الله بن ابي أوفي وتعقب بأنه مات سنة خمس أوسبع وثمانين وأجيب بما فى عمرو بن حريث ومن ثمة جاء عن أبي حنيفة انه روى عن عبدالله هذا الحديث المتواتر من بنى لله مسجداً ولو كمفحص قطاة اي بفتح الميم بنى الله له بيتاً فى الجنة قال بعضهم لعل أبا حنيفة سمعه منه وعمره خمس او سبع ومنهم واثلة بكسر المثلثة ابن الاسقع بالقاف روى عنه حديثين لاتظهر الشماتة بأخيك فيعافيه الله ويبتليك دع مايريبك الى مالايريبك الاول رواه الترمذي من وجه آخر وحسنه والثاني جاء من رواية جمع من الصحابة وصححه الائمة واعترض بانه مات سنة ثلاث او خمس وثمانين وجوابه مامر آنفاً ومنهم معقل بن يسار واعترض بانه مات في امارة معاوية رضي الله عنه ومعاوية مات سنة ستين ومنهم ابو الطفيل عامر بن واثلة ووفاته سنة اثنتين ومائة بمكة وهو آخر الصحابة موتا ومنهم عائشة بنت عجرد واعترض بان حاصل كلام الذهبي وشيخ الاسلام ابن حجر ان هذه لاصحبة لها وانها لاتكاد تعرف وبذلك رد ماروى ان اباحنيفة روى عنها هذا الحديث الصحيح اكثر جندالله تعالى فى الارض الجراد لاآكله ولا احرمه ومنهم سهل بن سعد ووفاته سنة ثمان وثمانين وقيل بعدها ومنهم السائب ابن خلاد بن سويد ووفاته سنة احدي وتسعين ومنهم السائب بن يزيد بن سعيد ووفاته سنة احدى أو اثنتين أو أربع وتسعين ومنهم عبد الله بن بسرة ووفاته سنة ست وتسعين ومنهم محمود بن الربيع ووفاته سنة تسع وتسعين ومنهم عبدالله ابن جعفر واعترض بانه مات سنة ثمانين بأرض حمص ومنهم أبوامامة

واعترض بانه مات سنة احدى وثمانين بارض حمص ﴿ تنبيه ﴾ قال بعض متأخرى المحدثين ممن صنف فى مناقب الامام أبى حنيفة كتاباحافلاماحاصله جزم خلائق من أئمة الحديث بانه لم يسمع من أحد من الصحابةشيئاًواحتجوا بأشياء منها ان أئمة أصحابه الاكابر كأبى يوسف ومحمد وابن المبارك وعبد الرزاق وغيرهم لم ينقلوا عنه شيئاً من ذلك ولو كان لنقلوه فانه ممايتنافس فيه المحدثون ويعظم افتخارهم به وان كل سند فيه انه سمع من صحابى لايخلو من كذاب وباشياءأخرقالوا وأمارؤيته لانس وادرا كه لجماعةمن الصحابةبالسن فصحيحان لاشك فيهما وما وقع للعيني انه أثبت سماعه من الصحابةرده عليه صاحبه الشيخ الحافظ قاسم الحنفى والظاهر ان سبب عدم سماعه ممن أدركه من الصحابةانه أول أمره اشتغل بالاكتساب حتي أرشده الشعبي لما رأى من باهر نجابته الى الاشتغال بالعلم ولا يسع من له أدنى المام بعلم الحديث ان يذكر خلاف ماذكرته انتهى حاصل كلام ذلك المحدث وقاعدة المحدثين ان راوى الاتصال مقدم على راوى الارسال والانقطاع لان معه زيادة علم تؤيد ماقاله العينى فاحفظ ذلك فانه مهم

﴿ الفصل السابع فى ذكر شيوخه ﴾ هم كثيرون لايسع هذا المختصر ذكرهم وقد ذكر منهم الامام أبو حفص الكبير أربعة آلاف شيخ وقال غيره له اربعة آلاف شيخ من التابعين فمابالك بغيرهم منهم الليث بن سعد وكذا مالك بن انس امام دار الهجرة على ماذكره الدارقطني وجماعة آخرهم ابو محمد العينى بل قال بعضهم انه رأى فى مسند الامام ابى حنيفة التحديث عن مالك وهذان الامامان من جملة الآخذين عنه وعدد بعض المترجمين مشايخه بما يطول ذكره فلذا حذفته

﴿ الفصل الثامن في ذكر الآخذين عنه الحديث والفقه ﴾ قيل استيعابه متعذر لايمكن ضبطه ومن ثمة قال بعض الائمة لم يظهر لاحد من أئمة الاسلام المشهورين

مثل ملظهر لابي حنيفة من الاصحاب والتلاميذ ولم ينتفع العلماء وجميع الناس بمثل ما انتفعوا به وباصحابه في تفسير الاحاديث المشتبهة والمسائل المستنبطة والنوازل والقضاء والاحكام جزاهم الله خيراً وقد ذكر منهم بعض متأخرى المحدثين فى ترجمته نحو الثمانمائة مع ضبط أسمائهم ونسبهم بما يطول ذكره

﴿ الفصل التاسع فى مبدأ أمره ونشأته وسبب اشتغاله بالعلم ﴾ سبق ان الصحيح انه ولد بالكوفة ونشأ بها وانه لم يجد في حال ترعرعه من يرشده الى الاخذ عمن أدركه من الصحابة فاشتغل بالبيع والشراء الي ان قيض الله له الامام الشعبي فأيقظه الى النظر في العلم ومجالسة العلماء لما رأى فيه من اليقظة والنجابة فوقع فى قلبه قوله فترك السوق وأخذ في العلم فنظر فى علم الكلام وبلغ فيه مبلغاً يشار اليه فيه بالاصابع وأعطي فيه جدلا فمضى عليه زمن به يخاصم وعنه يناضل حتى دخل البصرة لان أكثر الفرق كان بها نيفاً وعشرين فرقة يقيم فى بعض المرات سنة أو أكثر ينازع أولئك الفرق لانه كان يعد الكلام أرفع العلوم وأفضلها لكونه في أصول الدين ثم ألهم ان الصحابة والتابعين لم يكونوا كذلك مع انهم عليه أقدر وبه اعرف بل نهوا عنه اشد النهي ولم يخوضوا الا فى الشرائع وابواب الفقه وتعليم الناس فكره طرائق الجدل واكد ذلك عنده انه كان يجلس بالقرب من حلقة حماد فجاءته امرأة فسألته عن رجل يريد ان يطلق امرأته للسنة كيف يقول فلم يجد جوابا فأمرها ان تسأل حماداً ثم تعلمه بجوابه ففعلت فترك الكلام وجلس في حلقة حماد فكان يحفظ جميع مايقوله ويخطئ فيه أصحابه فأجلسه بحذائه فى صدر الحلقة عشر سنين فنازعته نفسه ان ينفرد عنه ويستقل بحلقة لنفسه فجلس اليه ليلة عزمه على فعل ذلك في صبيحتها فجاءه حينئذ نعي قريب له لاوارث له غيره فاحتاج للسفر لاخذ ماله فاستخلفه في حلقته وغاب شهرين ثم قدم وقد سئل عن ستين مسئلة لم يكن سمعها منه فأجاب فيها ثم عرضها عليه فوافقه في أربعين وخالفه فى عشرين

فآلى على نفسه ان لايفارقه حتى يموت وأخرج الخطيب وغيره عنه انه لما أراد الاشتغال بالعلم تصور غايات العلوم وان غاية الكلام قليلة وصاحبه اذا كمل واحتيج اليه لايقدر يتكلم جهاراً ويرمي بكل سوء وغاية علم الادب والنحو والقراءة الجلوس الى الاحداث لتعليمهم اياها وغاية الشعر المدح والهجو والكذب والحديث يحتاج الى العمر الطويل ولعل صاحبه يرمى بالكذب وسوء الحفظ فيصير ذلك وصمة فيه الي يوم القيامة قال ثم فكرت فى الفقه فكلما قلبته وأدرته لم يزد الا حلاوة ولم أجد فيه عيباً ورأيت أمر الايستقم طلب الدنيا والآخرة الا بمعرفته فاشتغلت به (تنبيه) احذر ان تتوهم من ذلك انأبا حنيفة لم يكن له خبرة تامة بغير الفقه حاشا لله كان فى العلوم الشرعية من التفسير والحديث والآلة من العلوم الادبية والمقايس الحكمية بحراً لايجاري واماما لايماري وقول بعض أعدائه فيه خلاف ذلك منشؤه الحسد وحجته الترفع على الاقران ورميهم بالزور والبهتان ويأبي الله الا ان يتم نوره ومما يكذب ذلك ان له مسائل فقهية بني أقواله فيها على علم العربية بما ان وقف عليه من تأمله لقضى بتمكنه من هذا العلم بما يبهر العقل وان له من النظم البليغ مايعجز عنه كثير من نظرائه وقد انفرد بها بالتأليف الزمخشري وغيره على مايأتى وسيأتى انه صح عنه انه كان يختم فى شهر رمضان ستين ختمة وانه كان يقرأ القرآن كله في ركعة فزعم بعض حاسديه انه كان لايحفظ القرآن بهت منه وكذب شنيع وقال أبو يوسف مارأيت أعلم بتفسير الحديث من أبي حنيفة وكان أبصر بالحديث الصحيح مني وفى جامع الترمذى عنه مارأيت أكذب من جابر الجعفى ولا أفضل من عطاء بن أبي رباح وروي البيهقي عنه انه سئل عن الاخذ عن سفيان الثوري فقال اكتب عنه فانه ثقة ماعدا أحاديث أبي اسحاق عن جابر الجعفي وروى الخطيب عن سفيان بن عيينة أنه قال أول من أقعدنى للحديث بالكوفة أبو حنيفة قال لهم هذا أعلم الناس بحديث عمرو بن دينار وبهذا يعلم

جلالة مرتبته في الحديث ايضاً كيف وهو يستأمر في الثوري ويجلس اليه ابن عيينة
﴿ الفصل العاشر في ابتداء جلوسه للافتاء والتدريس ﴾ لما مات شيخه حماد بن
سليمان وكانت انتهت اليه رئاسة الكوفة والناس به أغنياء احتاج الناس لمن
يجلس لهم فجلس ابنه واختلف اليه أصحاب ابيه فلم يجدوا عنده مايغنيهم لان
الغالب عليه النحو والكلام فجلس موسى بن كثير فاحتمله الناس للقيه الا كابر
وان لم يكن بارعا في الفقه فخرج حاجا فأجمع رأيهم على أبي حنيفة فأطاعهم وقال
ما أحب ان يموت العلم فاختلفوا اليه فوجدوا عنده من العلم الغزير في كل
باب وحسن المواساة والصبر عليهم مالم يجدوه عند غيره فلزموه وتركوا غيره
ثم تخرجوا به طبقة بعد طبقة حتى صاروا أئمة في العلم والدين والطبقة الثانية
أبو يوسف وزفر وآخرون ثم لم يزل أمره يزداد علواً ويكثر أصحابه حتى
صارت حلقته أعظم حلقة في المسجد وانصرفت وجوه الناس اليه وأكرمه
الامراء وذكره الخلفاء وحمده الكل وعمل أشياء اعجزت غيره ومع ذلك كثرت
حساده ومغادوه لان ذلك سنة الله في خلقه ولن تجد لسنة الله تبديلا ومما
زاد في اقباله على الافتاء والتدريس بعد انقباضه عنهما انه رأى كأنه ينبش قبر
النبي صلى الله عليه وسلم وجمع عظامه فوضعها على صدره بعد ان استخرجها
وفي رواية انه لما استخرجها صار يؤلف بعضها على بعض فأفزعه ذلك فزعا
شديداً واقلقه الي ان عاده اخوانه فأرسل الي ابن سيرين فأولها بأن صاحبها
يفتح للناس من سنن النبي صلى الله عليه وسلم وتأويلها مالم يسبقه احد اليه فعند
ذلك انبسط في المسائل واتى فيها بما يبهر العقل وفي رواية ان بعض اصحابه
لما رآه متوجعاً ولم ير به مرضاً سأله عن حاله فأخبره برؤياه فقال هنا صاحب
لابن سيرين ندعوه لك فقال لا انا آتيه فأتاه فقصها عليه فقال ان كان ماتقوله
حقاً لتعلمن في اقامة السنة علما لم يسبقك اليه احد ولتدخلنّ في العلم مدخلا
بعيداً وهذا لاينافي ماقبله لانه لامانع انه قصت على ابن سيرين وعلى تلميذه

فتوافقا على ماذكره والله اعلم

(الفصل الحادي عشر فيما بني عليه مذهبه) اعلم انه يتعين عليك انلاتفهم من اقوال العلماء عن ابى حنيفة واصحابه انهم اصحاب الرأي ان مرادهم بذلك تنقيصهم ولا نسبتهم الي انهم يقدمون رأيهم على سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولاعلى قول اصحابه لانهم برآء من ذلك فقد جاء عن ابى حنيفة من طرق كثيرة ماملخصه انه اولا يأخذ بما فى القرآن فان لم يجد فبالسنة فان لم يجد فبقول الصحابة فان اختلفوا اخذ بما كان اقرب الي القرآن او السنة من اقوالهم ولم يخرج عنهم فان لم يجد لاحد منهم قولا لم يأخذ بقول احد من التابعين بل يجتهد كما اجتهدوا وقال الفضيل بن عياض ان كان فى المسئلة حديث صحيح تبعه وان كان عن الصحابة أو التابعين فكذلك والاقاس فأحسن القياس وقال ابن المبارك رواية عنه اذا جاء الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فعلى الرأس والعين واذا جاء عن الصحابه اخترنا ولم نخرج عن أقوالهم واذا جاء عن التابعين زاحمناهم وعنه ايضاً عجباً للناس يقولون أفتى بالرأي ما أفتي الا بالاثر وعنه ايضاً ليس لاحد ان يقول برأيه مع كتاب الله تعالى، ولا مع سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا مع ما اجمع عليه أصحابه وأما ما اختلفوا فيه فنتخير من أقاويلهم اقربه الى كتاب الله تعالى او الي السنة ونجتهد وما جاوز ذلك فالاجتهاد بالرأى لمن عرف الاختلاف وقاس وعلى هذا كانوا وعن المزنى سمعت الشافعي يقول الناس عيال على أبي حنيفة في القياس انتهى ولدقة قياسات مذهبهم كان المزنى يكثر من النظر في كلامهم حتى حمل ذلك ابن اخته الامام الطحاوى على انه انتقل من مذهب الشافعي الى مذهب ابى حنيفة كما صرح بذلك الطحاوى بنفسه وعن الحسن بن صالح ان ابا حنيفة كان شديد الفحص عن الناسخ والمنسوخ عارفا بحديث اهل الكوفة شديد الاتباع لما كان الناس عليه حافظاً لما وصل الى اهل بلده وسمعه رجل يقايس آخر في مسئلة

فصاح دعوا هذه المقايسة فان اول من قاس ابليس فأقبل اليه ابو حنيفة فقال
ياهذا وضعت الكلام فى غير موضعه ابليس رد بقياسه على الله تعالى امره
كما اخبر تعالى عنه فى كتابه فكفر بذلك وقياسنا اتباع لامر الله تعالى لاننا
نرده الى كتابه وسنة رسوله او اقوال الأئمة من الصحابة والتابعين فنحن
ندور حول الاتباع فكيف نساوى ابليس لعنه الله فقال له الرجل غلطت
وتبت فنور الله قلبك كما نورت قلبي وعنه انه كان يقول هذا الذي نحن عليه
رأي لانجبر عليه أحداً ولانقول يجب على احد قبوله فمن كان عنده احسن
منه فليأت به نقبله وقال ابن حزم جميع اصحاب ابي حنيفة مجمعون على ان
مذهبه ان ضعيف الحديث اولى عنده من القياس

﴿ الفصل الثاني عشر في الصفات التي تميز بها على من بعده ﴾ وهى كثيرة منها
انه رأي جماعة من الصحابة كامر وقد صح من طرق انه صلى الله عليه وسلم
قال طوبى لمن رآني ولمن رأى من رآني ولمن رأي من رأى من رآني ومنها
انه ولد في قرنه صلي الله عليه وسلم الذي صح عنه من طرق كثيرة انه قال خير
الناس قرنى ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم وفى رواية لمسلم خير الناس القرن
الذي أنا فيه ثم الثاني ثم الثالث ومنها انه اجتهد وافتى فى زمن التابعين بل لما
حج الاعمش ارسل اليه ليكتب له المناسك وكان يقول اكتبوا المناسك عنه
فانى لااعلم احداً أعلم بفرضها ونفلها منه فانظر هذه الشهادة له من مثل الاعمش
ومنها رواية اكابر شيوخه وغيرهم عنه كعمرو بن دينار ودخل على الخليفة
المنصور فقال له عيسى بن موسى ياامير المؤمنين هذا عالم الدنيا اليوم فقال له
الخليفة عمن أخذت العلم قال عن أصحاب عمر عنه وعن أصحاب علي
عنه وعن أصحاب ابن مسعود عنه فقال بخ بخ لقد استوثقت لنفسك ماشئت
ومنها ما اتفق له من الاصحاب مما لم يتفق لاحد بعده كما علم مما مر وقال رجل
عند وكيع أخطأ أبو حنيفة فزجره وكيع وقال من يقول هذا كالانعام بل

هم أضل سبيلا كيف يخطئ وعنده أئمة الفقه كأبي يوسف ومحمد وأئمة الحديث وعددهم وأئمة اللغة والعربية وعددهم وأئمة الزهد والورع كالفضيل وداود الطائي ومن كان له أصحاب من هؤلاء لم يكن ليخطئ لأنه ان أخطأ ردوه للحق ومنها أنه أول من دون علم الفقه ورتبه أبوابا وكتباً على نحو ما هو عليه اليوم وتبعه مالك فى موطئه ومن قبله انما كانوا يعتمدون على حفظهم وهو أول من وضع كتاب الفرائض وكتاب الشروط ومنها انتشار مذهبه فى أقاليم ليس فيها غيره كالهند والسند والروم وما وراء النهر ومنها انفاقه على نفسه وغيره من العلماء وغيرهم من كسب يده ولم يقبل جائزة مع ما تواتر من كثرة عبادته وزهده وكثرة حججه وغير ذلك مما يأتي ومنها أنه مات مظلوما محبوساً مسموما كما يأتي

﴿الفصل الثالث عشر فى ثناء الأئمة عليه﴾ روى الخطيب عن الشافعي رحمه الله قال قيل لمالك رحمه الله هل رأيت أبا حنيفة رحمه الله قال نعم رأيت رجلا لو كلمك فى هذه السارية أن يجعلها ذهباً لقام بحجته وفى رواية أنه سأله عن جماعة فأجابه عنهم قال فأبو حنيفة قال سبحان الله لم أر مثله تالله او قال ان الاسطوانة من ذهب لاقام الدليل القياسي على صحة قوله وقال ابن المبارك دخل ابو حنيفة على مالك فرفعه ثم قال بعد خروجه أتدرون من هذا قالوا لا قال هذا أبو حنيفة النعمان لو قال هذه الاسطوانة من ذهب لخرجت كما قال لقد وفق له الفقه حتي ما عليه فيه كثير مؤنة ثم دخل الثوري فأجلسه دون مجلس أبي حنيفة فلما خرج ذكر من فقهه وورعه وقال الشافعي من أراد أن يتبحر فى الفقه فهو عيال على أبي حنيفة انه ممن وفق له الفقه هذه رواية حرملة عنه وفى رواية الربيع عنه الناس عيال فى الفقه على أبي حنيفة ما رأيت أي علمت أحداً أفقه منه لأنه لم يدرك أحداً أفقه منه وجاء عنه أيضاً من لم ينظر في كتبه لم يتبحر في العلم ولا تفقه وقال ابن عيينة ما رأت عيني مثله وعنه

من أراد المغازى فالمدينة أو المناسك فمكة أو الفقه فالكوفة ويلزم أصحاب أبى حنيفة وقال ابن المبارك كان أفقه الناس مارأيت أفقه منه وقال كان آية فقيل في الخير أو الشر فقال اسكت ياهذا يقال غاية فى الشر وآية فى الخير وعنه ان احتيج للرأى فرأى مالك وسفيان وأبي حنيفة وهو أفقههم وأحسنهم وأدقهم فطنة وأغوصهم على الفقه وعنه قوله عندنا اذا لم نجد أثراً كالاثر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنه أنه كان يحدث الناس فقال حدثني النعمان بن ثابت فقيل له من تعني قال أبا حنيفة مخ العلم فامسك بعضهم عن أن يكتب ذلك الاملاء فسكت ابن المبارك هنيهة ثم قال أيها الناس ما أسوأ أدبكم وأجهلكم بالائمة وما أقل معرفتكم بالعلم وأهله ليس أحد أحق أن يقتدى به من أبي حنيفة لانه كان اماما تقياً ورعاً عالماً فقيهاً كشف العلم كشفاً لم يكشفه أحد ببصر وفهم وفطنة وتقى ثم حلف أن لا يحدثهم شهراً وقال الثورى لمن قال له جئت من عند أبي حنيفة لقد جئت من عند أفقه أهل الارض وقال أيضاً الذى يخالف أبا حنيفة يحتاج الى أن يكون أعلى منه قدراً وأوفر علماً وبعيد مايوجد ذلك ولما حجا كان يقدمه ويمشي خلفه ولايجيب اذا سئل احتى يكون أبو حنيفة هو الذى يجيب وقيل له وقد رؤى تحت رأسه كتاب الرهن لأبى حنيفة تنظر فى كتبه فقال وددت أنها كلها عندى مجتمعة أنظر فيها مابقي في شرح العلم غاية ولكننا لاننصفه وقال أبو يوسف رحمه الله الثوري أكثر متابعة لابي حنيفة مني ووصفه يوما لابن المبارك فقال انه ليركب من العلم أحدّ من سنان الرمح كان والله شديد الاخذ للعلم ذابا عن المحارم متبعاً لاهل بلده لايستحل أن يأخذ الاماصح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم شديد المعرفة بناسخ الحديث ومنسوخه وكان يطلب أحاديث الثقات والاخذ من فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم وما أدرك عليه علماء أهل الكوفة في اتباع الحق أخذ به وجعله دينه وقد شنع عليه قوم فسكتنا عنهم بما نستغفر الله تعالى منه وقال الاوزاعى لابن المبارك

من هذا المبتدع الذى خرج بالكوفة يكني أبا حنيفة فأراه مسائل عويصة من مسائله فلما رآها منسوبة للنعمان بن ثابت قال من هذا قلت شيخ لقيته بالعراق قال هذا نبيل من المشايخ اذهب فاستكثر منه قلت هذا أبو حنيفة الذي نهيت عنه ثم لما اجتمع بأبي حنيفة بمكة جاراه فى تلك المسائل فكشفها أبو حنيفة له بأكثر ما كتبها ابن المبارك عنه فلما افترقا قال الاوزاعى لابن المبارك غبطت الرجل بكثرة علمه ووفور عقله وأستغفر الله تعالى لقد كنت في غلط ظاهر إلزم الرجل فانه بخلاف ما بلغني عنه وقال ابن جريج لما بلغه من علمه وشدة ورعه وصيانته لدينه وعلمه أحسبه سيكون له فى العلم شأن عجيب وذكر عنده يوما فقال اسكتوا انه لفقيه انه لفقيه انه لفقيه • وقال أحمد بن حنبل فى حقه انه من أهل الورع والزهد وايثار الآخرة بمحل لايدركه أحد ولقد ضرب بالسياط ليلي القضاء للمنصور فلم يفعل فرحمة الله عليه ورضوانه • وقال يزيد بن هرون لما سئل عن النظر فى كتبه انظروا فيها فانى ما رأيت أحداً من الفقهاء يكره النظر فى قوله ولقد احتال الثوري في كتاب الرهن له حتى نسخه • وقال ايضاً لما قيل له رأى مالك أحب اليك من رأى أبى حنيفه اكتب حديث مالك فانه كان ينتقى الرجال والفقه صناعة أبى حنيفة وصناعة أصحابه كانهم خلقوا له وروى الخطيب عن بعض أئمة الزهد أنه قال يجب على أهل الاسلام أن يدعوا لأبي حنيفة في صلاتهم لحفظه عليهم السنة والفقه وقال الناس فيه حاسد وجاهل وهو أحسنهما عندي وقال من أراد أن يخرج من ذلّ العمى والجهل ويجد حلاوة الفقه فلينظر فى كتبه قال مكى بن ابراهيم كان أبو حنيفة أعلم أهل زمانه وقال يحيى بن سعد القطان ما سمعنا أحسن من رأى أبي حنيفة ومن ثمة كان يذهب في الفتوي الى قوله وقال النضر ابن شميل كان الناس نياما عن الفقه حتى أيقظهم أبو حنيفة بما فتقه وبينه ولخصه وقال مسعر بكسر فسكون ففتح ابن كدام بكسر فتخفيف مهملة من

جهل أبا حنيفة بينه وبين الله رجوت أن لايخاف ولا يكون فرّط فى الاحتياط لنفسه • وقيل له لم تركت رأى أصحابه وأخذت برأيه قال لصحته فأتوا بأصح منه لارغب عنه اليه وقال ابن المبارك رأيت مسعراً في حلقة أبى حنيفة يسأله ويستفيد منه وقال مارأيت أفقه منه وقال عيسى بن يونس لاتصدقن أحداً يسيء القول فيه فانى والله مارأيت أفضل منه ولا أفقه منه وقال معمر مارأيت رجلا يحسن أن يتكلم في الفقه ويسعه أن يقيس ويشرح الحديث أحسن معرفة من أبى حنيفة ولا أشفق على نفسه من ان يدخل فى دين الله شيئاً من الشك من أبى حنيفة • وقال الفضيل كان فقيها معروفا بالفقه مشهوراً بالورع واسع المال معروفا بالافضال على كل من يطوف به صبوراً على تعليم العلم بالليل والنهار قليل الكلام حتى لايرد مسئلة في الحلال والحرام الاعلى الحق هاربا من السلطان وقال أبو يوسف انى لادعو له قبل أبوىّ وسمعته يقول انى لادعو لحماد مع أبوي وقال أبو حنيفة زينه الله تعالى بالفقه والعمل والسخاء والبذل واخلاق القرآن التي كانت فيه وقال كان خاف من مضى وما خلف والله على وجه الارض مثله • وسئل الاعمش عن مسئلة فقال انما يحسن جواب هذا النعمان بن ثابت وأظنه بورك له في علمه وقال يحي بن آدم ماتقولون فى هؤلاء الذين يقعون فى أبى حنيفة قال انه جاءهم بما يعقلونه ومالا يعقلونه من العلم فحسدوه وقال وكيع مارأيت أحداً أفقه منه ولاأحسن صلاة منه وقال الامام الحافظ الناقد يحي بن معين الفقهاء أربعة أبو حنيفة وسفيان ومالك والاوزاعي وعنه القراءة عندى قراءة حمزة والفقه فقه أبى حنيفة على هذا أدركت الناس وسئل هل حدث سفيان عنه قال نعم كان ثقة صدوقا فى الفقه والحديث مأمونا على دين الله وقال ابن المبارك رأيت الحسن بن عمارة آخذاً بركابه قائلا والله مارأيت أحداً يتكلم فى الفقه أبلغ ولا أصبر ولا أحضر جوابا منك وانك لسيد من تكلم فى الفقه فى وقتك

غير مدافع ومايتكلمون فيك الا حسداً وقال شعبة كان والله حسن الفهم جيد الحفظ حتى شنعوا عليه بما هو أعلم به منهم والله سيلقون عند الله وكان كثير الترحم عليه وسئل يحيي بن معين عنه فقال ثقة ماسمعت أحداً ضعفه هذا شعبة يكتب له ان يحدث ويأمره وسبقه ووصفه أبو أيوب السختياني بالصلاح والفقه ورمي عند ابن عون بأنه يقول القول ثم يرجع عنه فى غد فقال هذا دليل ورعه فانه يرجع من خطأ الى صواب ولولا ذلك لنصر خطأه ودافع عنه وقال حماد بن يزيد كنا نأتي عمرو بن دينار فاذا جاء ابو حنيفة اقبل عليه وتركنا نسأل ابا حنيفة فنسأله فيحدثنا وقال الحافظ عبد العزيز بن ابي رواد من احب ابا حنيفة فهو سني ومن أبغضه فهو مبتدع وفى رواية بيننا وبين الناس ابو حنيفة فمن احبه وتولاه علمنا انه من أهل السنة ومن ابغضه علمنا انه من اهل البدعة وقال خارجة بن مصعب أبو حنيفة في الفقهاء كقطب الرحا وكالجهبذ الذى ينقد الذهب وقال الحافظ محمد بن ميمون لم يكن فى زمن ابي حنيفة اعلم ولا أورع ولا ازهد ولا اعرف ولا افقه منه تالله ماسرني بسماعي منه مائة الف دينار وقال ابراهيم بن معاوية الضرير من تمام السنة حب ابي حنيفة وقال كان يصف العدل ويقول به وبين للناس سبيل العلم واوضح لهم مشكلاته وقال أسد بن حكيم لايقع فيه الا جاهل أو مبتدع وقال ابو سليمان كان ابو حنيفة عجباً من العجب وانما يرغب عن كلامه من لم يقو عليه وقال ابو عاصم هو والله عندي افقه من ابن جريج مارأت عيني رجلا اشد اقتداراً على الفقه منه وذكر عند داود الطائى فقال ذاك نجم يهتدى به الساري وعلم تقبله قلوب المؤمنين وقال شريك القاضي كان ابو حنيفة طويل الصمت كثير التفكر دقيق النظر فى الفقه لطيف الاستخراج فى العلم والعمل والبحث ان كان الطالب فقيراً اغناه فاذا تعلم قال له وصلت الى الغني الاكبر بمعرفة الحلال والحرام وقال خلف بن

ايوب صار العلم من الله تعالى الي محمد صلى الله عليه وسلم ثم منه الى اصحابه ثم منهم الى التابعين ثم صار الي ابي حنيفة واصحابه فمن شاء فليرض ومن شاء فليسخط وقيل لبعض الائمة مالك تخص ابا حنيفة عند ذكره بمدح دون غيره قال لان منزلته ليست كمنزلة غيره فيما انتفع الناس بعلمه فأخصه عند ذكره. ليرغب الناس بالدعاء له والآثار فى النقل عن الائمة غير ما ذكر كثيرة وفي بعض ماذكرناه مقنع للمنصف المذعن الذي يعرف الحق لاهله ومن ثمة قال الحافظ أبو عمر يوسف بن عبد البر بعد كلام ذكره واهل الفقه لا يلتفتون الى من طعن عليه ولا يصدقون بشيء من السوء ينسب اليه

﴿الفصل الرابع عشر في شدة اجتهاده فى العبادة﴾ قال الذهبي قد تواتر قيامه الليل وتهجده وتعبده ومن ثمة كان يسمى الوتد من كثرة قيامه الليل بل أحياه بقراءة القرآن في ركعة ثلاثين سنة وحفظ عنه انه صلى صلاة الفجر بوضوء العشاء أربعين سنة فكان عامة الليل يقرأ جميع القرآن فى ركعة واحدة يسمع بكاؤه بالليل حتي يرحمه جيرانه وحفظ عنه انه ختم القرآن فى الموضع الذى توفى فيه سبعة آلاف مرة ووقع رجل فيه عند ابن المبارك فقال ويحك أتقع في رجل صلى خمساً وأربعين سنة خمس صلوات على وضوء واحد وكان يختم القرآن فى ركعة وتعلمت ما عندي من الفقه منه وقال أبو مطيع مادخلت الطواف فى ساعة من الليل الا رأيت أبا حنيفة وسفيان فيه ولما غسله الحسن بن عمارة قال رحمك الله وغفر لك لم تفطر منذ ثلاثين سنة وقد أتعبت من بعدك وفضحت القراء وسبب احيائه الليل أنه سمع رجلا يقول لآخر هذا ابو حنيفة الذي لا ينام فقال لابي يوسف سبحان الله الا ترى الله تعالى نشر لنا هذا الذكر او ليس بقبيح ان يعلم الله تعالى منا ضد ذلك والله لا يتحدث الناس عني بما لم افعل فكان يحيي الليل صلاة وتضرعا ودعاء وقال ابو يوسف كان يختم كل يوم وليلة ختمة وفى رمضان ويوم العيد اثنين وستين

ختمة وكان سخياً بالمال صبوراً على تعليم العلم شديد الاحتمال لما يقال فيه بعيد الغضب شهدته يصلي الصبح بوضوء اول الليل عشرين سنة ومن صحبه قبلنا قالوا انه كذلك اربعين سنة وقال مسعر رأيته يصلي الغداة ثم يجلس للناس في العلم الى ان يصلي الظهر ثم يجلس الى العصر ثم الى قريب المغرب ثم الي العشاء فقلت في نفسي متى يتفرغ هذا للعبادة لأتعاهدنه فلما هدأ الناس خرج الى المسجد متطهراً كانه عروس فانتصب للصلاة الي الفجر ثم دخل ولبس ثيابه وخرج لصلاة الصبح ففعل كما فعل قبل فقلت في نفسي ان الرجل قد ينشط الليلة لأتعاهدنه فلما هدأ الناس خرج وفعل كفعله قبل في ليله ويومه حتى اذا صلى العشاء قلت ان الرجل قد ينشط الليلتين لأتعاهدنه الليلة ففعل كفعله قبل فقلت لالزمنه الي ان اموت او يموت قال فما رأيته بالنهار مفطرا ولا بالليل نائماً وكان يغفو قبل الظهر غفوة خفيفة ومات مسعر في سجوده في مسجد ابي حنيفة وقال شريك كنت معه سنة فما رأيته وضع جنبه على الفراش وعن خارجة ختم القرآن في ركعة داخل الكعبة اربعة وعد منهم ابا حنيفة وقال الفضيل بن دكين بضم الدال المهملة رأيت جماعة من التابعين وغيرهم فما رأيت احسن صلاة من ابي حنيفة ولقد كان قبل الدخول في الصلاة يبكي ويدعو فيقول القائل هو والله يخشى وكنت اذا رأيته رأيته كالشن البالي من العبادة وهو بفتح الشين وتشديد النون القربة الخلقة وردد في قوله تعالى (بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وامر) ليلة كاملة في صلاته وقرأ ليلة اخري حتى وصل (فمن الله علينا ووقانا عذاب السموم) فما زال يرددها حتى أذن الفجر وقالت ام ولده ماتوسد فراشاً بليل منذ عرفته وانما كان نومه بين الظهر والعصر بالصيف واول الليل بمسجده في الشتاء وقال ابن ابي روّاد مارأيت اصبر على الطواف والصلاة والفتيا بمكة منه انما كان كل الليل والنهار في طلب الآخرة والنجاة ولقد شاهدته عشر ليال فما رأيته نام

بالليل ولا هدأ ساعة من نهار من طواف وصلاة أو تعليم وذكر بعض أهل المناقب انه لما حج حجة الوداع أعطي السدنة نصف ماله ليمكنوه من الصلاة داخل الكعبة فقرأ نصف القرآن قائما على رجل ثم نصفه الآخر قائما على الأخرى وقال يارب عرفتك حق معرفتك وما عبدتك حق العبادة فهب لي نقصان الخدمة لكمال المعرفة فنودي من زاوية البيت عرفت فاحسنت وأخلصت الخدمة غفرنا لك ولمن كان على مذهبك الى قيام الساعة

﴿ تنبيه ﴾ لا ينافى ما نقل عنه ان صح من قوله عرفتك حق معرفتك ما قاله غيره سبحانك ما عرفناك حق معرفتك لان مراد الامام عرفتك حق معرفتك اللائقة بى وانتهي اليه علمى ففيه تجوّز ومراد غيره ان حقيقة المعرفة اللائقة بالحق لا يمكن أحدا أن يصل اليها وهذا هو الحقيقة كيف وسيد المرسلين والأولين والآخرين يقول لا أحصى ثناء عليك أنت كما اثنيت على نفسك وفى حديث الشفاعة العظمى فى فصل القضاء انه صلى الله عليه وسلم يلهم عند سؤاله فيها محامد لم يكن ألهمها قبل فهذه معارف متعددة وهكذا الى ما لانهاية له ووقوفه على رجل فى الصلاة مكروه عند غيره لصحة الحديث في النهى عنه فنفرض انه يرى كراهته ويجاب عنه بانه انما فعل ذلك مجاهدة لنفسه وليس ببعيد ان غرض مجاهدة النفس فى مثل ذلك ممن لم يختل به خشوعه مانع للكراهة وختمه القرآن في ركعة لا ينافى خبر أن من قرأه فى أقل من ثلاث لم يتفقه لأن محله فيمن لم تخرق له العادة في الحفظ والسهولة واتساع الزمن ومن ثمة جاء عن كثير من الصحابة والتابعين انهم كانوا يختمونه فى ركعة بل ختمه بعضهم اربع مرات فيما بين المغرب والعشاء وكل ذلك من باب الكرامات فلا يعترض به

(الفصل الخامس عشر في خوفه ومراقبته لربه سبحانه وتعالى) قال أسد ابن عمرو كان بكاء أبي حنيفة يسمع بالليل حتى يسمعه جيرانه وقال وكيع

كان والله عظيم الأمانة وكان الله تعالى في قلبه جليلا كبيراً وكان يؤثر رضاء ربه تبارك وتعالي على كل شيء ولو أخـذته السيوف فى الله تعـالى لاحتمل رحمه الله ورضي عنه ربه رضا الأبرار فلقد كان منهم وقال يحيي بن القطان كنت إذا نظرت اليه عرفت انه يتقى الله عز وجل وقام ليلة بهـذه الآية يرددها ويبكي ويتضرع (بل الساعة موعـدهم والساعة أدهي وأمر) وبلغ فى ليلة (ألهاكم التكاثر) فرددها حتي أصبح وقال يزيد بن الليث وكان من الاخيار قرأ الامام (إذا زلزلت الارض) وأبو حنيفة خلفه فلما فرغ نظرت اليه فاذا هو جالس يتفكر ويتنفس فقمت لئلا يشتغل قلبه وتركت القنديل وزيته قليل ثم جئت وقد طلع الفجر وهو قائم وقد أخذ بلحية نفسه وهو يقول يا من يجزى بمثقال ذرة خيراً خيراً ويامن يجزي بمثقال ذرة شراً شراً أجر النعمان عندك من النار وما يقرب منها وأدخله فى سعة رحمتك قال فاتيت فاذا القنديل يزهو وهو قائم فلما دخلت قال لى تريد أن تأخذ القنديل قلت قد أذنت لصلاة الغداة قال اكتم مارأيت وركع ركعتى الفجر وجلس حتي أقيمت الصلاة وصلى معنا الغداة على وضوء أول الليل وقال أبو الاحوص لو قيل له انك تموت الي ثلاثة أيام ما كان فيه فضل شيء يقدر أن يزيد على عمله الذى كان يعمل وذكر عند عيسى بن يونس قال فدعا له وقال كان أشد اجتهاده فى أن لا يعصي الله تعالى وأن يعظم حرماته وقال لولا الحرج ما أفتيت أخوف ما أخاف ان يدخلنى النار ما أنا عليه من الفتوى وقال ما اجترأت على الله تعالى منذ فقهت وسمع غلامه يسأل الجنة فبكى حتى اختاج صدغاه ومنكباه وأمر بغلق الدكان وقام مغطي الرأس مسرعا ثم قال ما اجرأنا على الله يقول أحـدنا نسأل الله الجنة وانما يسأل ذلك من رضي نفسه انما يريد مثلنا أن يسأل الله العفو وقرأ الامام يوما في صلاة الصبح (ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون) فارتعد حتي عرف ذلك منه وكان اذا أشكلت عليـه مسئلة قال لاصحابه

ماهذا الا لذنب احدثته فيستغفر الله وربما قام فتوضأ وصلى ركعتين ويستغفر فتفرج له المسئلة فيقول استبشرت لاني رجوت انه تيب على حتى أدركت المسئلة فبلغ ذلك الفضيل فبكي بكاء شديدا ثم قال رحم الله أباحنيفة انما كان ذلك لقلة ذنوبه وأما غيره فلا يتنبه لذلك لان ذنوبه قد استغرقته ووطئ رجل صبي لم يره فقال ياشيخ أما تخاف القصاص يوم القيامة فغشي عليه فلما أفاق قيل له ما أشد ما أخذ بقلبك قول هذا الغلام فقال أخاف انه لقن ورؤى هو وابن المعتمر يتساران ويبكيان في المسجد فلما خرج قيل له مابالكما أكثرتما البكاء قال ذكرنا الزمان وغلبة أهل الباطل على أهل الخير فكثر لذلك بكاؤنا وكان عند صلاته بالليل يسمع وقع دموعه على الحصير كأنه المطر وكان أثر البكاء يرى في عينيه وخديه فرحمه الله ورضي عنه

(الفصل السادس عشر فى حفظ لسانه عما لا يعنيه وعن السوء ما أمكنه)

قال له بعض مناظريه يامبتدع يا زنديق فقال غفر الله لك الله يعلم مني خلاف ما قلت واني ما عدلت به أحداً منذ عرفته ولا أرجو الاعفوه ولا أخاف الا عقابه ثم بكى عند ذكر العقاب وسقط صريعاً ثم أفاق فقال له الرجل اجعلنى فى حل فقال كل من قال فيّ شيئاً من أهل الجهل فهو فى حل وكل من قال في شيئاً مما ليس فىّ من أهل العلم فهو في حرج فان غيبة العلماء تبقي شيئاً بعدهم وقال الفضيل بن دكين كان هيوبا لا يتكلم الا جوابا ولا يخوض فيما لا يعنيه ولا يستمع اليه وقيل له اتق الله فانتفض وطأطأ رأسه ثم قال يا أخي جزاك الله خيراً ما أحوج الناس كل وقت الى من يذكرهم الله تعالى وقت اعجابهم بما يظهر على ألسنتهم من العلم حتى يريدوا الله تعالى باعمالهم وانا اعلم ان الله عز وجل يسألني عن الجواب ولقد حرصت على طلب السلامة وكان اذادخل عليه داخل وقال كان كيت وكيت وأكثر قال له دع ما انت فيه ماتقول فى كذاوكذا فيقطع عليه كلامه ويقول اياكم ونقل ما لا يحبه الناس من حديث الناس عفاالله

عمن قال فينا مكروها ورحم الله من قال فينا جميلا تفقهوا في دين الله وذروا
الناس من حديث الناس وما قد اختاروا لأنفسهم فيحوجهم الله تعالى اليكم
وقيل له ايهما افضل علقمة او الأسود قال والله ما قدرى ان اذكرهما الا بالدعاء
والاستغفار اجلالا لهما فكيف افضل بينهما وقال ابن المبارك للثورى ما أبعد
ابا حنيفة من الغيبة ما سمعته يغتاب عدواً له قط قال والله هو أعقل من ان
يسلط على حسناته ما يذهب بها وقال شريك كان طويل الصمت كثير العقل
والفقه قليل المجادلة للناس قليل المحادثة لهم وقال ضميرة لم يختلف الناس ان ابا
حنيفة كان مستقيم اللسان لم يذكر أحداً بسوء وقيل له الناس يتكلمون فيك
ولا تتكلم فى أحد قال هو فضل الله يؤتيه من يشاء وقال بكير بن معروف
ما رأيت رجلا أحسن سيرة فى أمة محمد صلى الله عليه وسلم من ابى حنيفة
(الفصل السابع عشر فى كرمه) قال غير واحد انه كان أكرم الناس
مجالسة واكثرهم اكراما ومواساة لاصحابه ولمن جلس اليه ومن ثمة كان
يزوج من احتاج وينفق عليه ويرسل الى كل منهم قدر منزله ورأي على
بعض جلسائه ثيابا رثة فامره ان يجلس حتى يتفرق الناس ثم قال له خذ
ماتحت المصلى فتجمل به فاذا هو ألف درهم وقال أبو يوسف كان لايكاد
يسئل حاجة الا قضاها ولما ختم حماد ولده سورة الفاتحة أعطي المعلم خمسمائة
درهم وفى رواية ألف درهم فقال ما صنعت حتى أرسل الىّ هذا فاحضره
واعتذر اليه وقال لا تستحقر ماعلمت ولدى والله لو كان معنا أكثر من
ذلك لدفعناه اليك تعظيما للقرآن وكان يجمع ربح تجارته التى يرسلها الى بغداد
من السنة الى السنة فيشتري بها لشيوخ المحدثين حوائجهم من نحو قوت
وكسوة ثم يدفع الباقى اليهم فيقول أنفقوا فى حوائجكم ولا تحمدوا الا الله
تعالى فانى ما أعطيتكم من مالى شيئا ولكن من فضل الله يجريه علي يدي وقال
وكيع قال لي أبو حنيفة ما ملكت أكثر من أربعة الآف درهم منذ أربعين سنة

الا اخرجته اى الاكثر وانما امسك الاربعة لقول على كرم الله وجهه اربعة آلاف ودونه نفقة ولولا ان اخاف ان احتاج الي هؤلاء ما امسكت منها درهما واحدا وقال سفيان بن عيينة كان ابو حنيفة كثير الصدقة وكان كل ما يستفيده لايدع منه شيأ الا اخرجه ولقد وجه الي هدايا استوحشت من كثرتها فشكوت ذلك لبعض اصحابه فقال لو رايت هدايا بعث بها الي سعيد بن ابي عروبة وما كان يدع احداً من المحدثين الا بره براً واسعا وقال مسعر كان لا يشترى لنفسه وعياله كسوة او فاكهة او غيرهما الا اشترى قبل ذلك لشيوخ العلماء مثل ذلك وقال ابو يوسف كان يغتم لمن يشكره على شئ اعطاه اياه ويقول اشكر الله تعالي فانما هو رزق ساقه الله اليك وكان يعولني وعيالي عشرين سنة واذا قلت له ما رايت أجود منك يقول كيف لو رأيت حمادا وما رأيت أجمع للخصال المحمودة منه وكانوا يقولون أبو حنيفة زينه الله بالعلم والعمل والسخاء والبذل وأخلاق القرآن التى كانت فيه وقال شقيق كنت معه في طريق فرآه رجل فاختبأ منه وأخذ في طريق آخر فصاح به فجاء اليه فقال له لم عدلت عن طريقك قال لك علي عشرة آلاف درهم وقد طال علي الوقت وأعسرت فاستحييت منك فقال سبحان الله بلغ بك الامر كل هذا وهبته منك كله وأشهدت على نفسى فلا تتوار واجعلنى فى حل مما دخل فى قلبك مني قال شقيق فعلمت انه زاهد على الحقيقة وقال الفضيل كان أبو حنيفة معروفا بكثرة الافضال وقلة الكلام واكرام العلم وأهله وقال شريك كان يغنى من يعلمه وينفق عليه وعلى عياله فاذا تعلم قال له لقد وصلت الي الغني الأكبر بمعرفة الحلال والحرام وحبس ابراهيم بن عيينة على اكثر من أربعة آلاف درهم فاراد بعض اخوانه ان يجمع له من الناس فلما صار لابى حنيفة أمره برد ما أخذه من الناس وقضى عنه جميع دينه وأهدى اليه شخص شيأ فكافأه باضعافه فقال له لو علمت انك تفعل ذلك ما أهديت لك قال لا تقل هذا فان الفضل

للسابق ألم تسمع الى ماحدثني به الهيثم عن أبى صالح يبلغ به النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من صنع اليكم معروفاً فكافئوه فان لم تجدوا ما تكافئونه به فأثنوا عليه فقال له هذا الحديث أحب الىّ من جميع ما أملك

﴿ الفصل الثامن عشر فى زهده وورعه ﴾ قال ابن المبارك قدمت الكوفة فسألت عن أزهد أهلها فقالوا أبو حنيفة وأراد شراء جارية فمكث عشر سنين وفي رواية عشرين سنة يختار ويشاور من أى سبى سالم عن الشبهة يشترى ما رأيت أحداً أورع منه ما تقدرون أن تقولوا فى رجل عرضت عليه الأموال العظيمة فنبذها وضرب بالسياط فعبد على السراء والضراء ولم يدخل فيما كان غيره يطلبه ويتمناه وقال مكى بن ابراهيم جالست الكوفيين فلم أر فيهم أورع منه وقال الحسن بن صالح كان شديد الورع هائباً للحرام تاركا للكثير من الحلال مخافة الشبهة ما رأيت فقيهاً أشد منه صيانة لنفسه ولعلمه وكان جهاده كله الى قبره وقال النضر بن محمد ما رأيت أشد ورعاً منه وقال يزيد بن هرون كتبت عن ألف شيخ حملت عنه العلم فما رأيت فيهم أشد ورعاً ولا أحفظ لساناً منه وقال الحسن بن زياد والله ما قبل لأحد منهم أى الأمراء ونحوهم جائزة ولا هدية وأرسل لشريكه متاعاً فيه ثوب معيب يبيعه ويبين ما فيه من العيب فباعه ولم يبين نسياناً وجهل المشتري فلما علم أبو حنيفة تصدق بثمن المتاع كله وكان ثلاثين ألف درهم وفاصل شريكه وذكر وكيع انه كان جعل على نفسه ان حلف بالله صادقاً فى عرض كلام تصدق بدرهم فحلف فتصدق به ثم جعل على نفسه ان حلف تصدق بدينار فكان اذا حلف تصدق بدينار وقال حفص صحبته ثلاثين سنة فلم أره أعلن خلاف ما أسر وكان اذا دخلت عليه شبهة فى شئ أخرج من قبله ذلك ولو بجميع ماله وقال سهل بن مزاحم كنا ندخل عليه فلا نرى فى بيته الا البوارى وقيل له تعرض عليك الدنيا ولك عيال فقال الله تعالى للعيال وانما قوتى أنا فى الشهر درهمان

فما حجي لمن يسألني الله تعالى عن الجمع لهم ان أطاعوه وان عصوه فان رزق الله غاد ورائح على الفريقين ثم قرأ (وفي السماء رزقكم وما توعدون) وحج بعض أصحابه وخلف عنده جارية فغاب أربعة أشهر فلما قدم قال له كيف وجدتها قال من قرأ القرآن وحفظ على الناس دينهم يحتاج أن يصون نفسه عن الفتنة والله ما رأيتها منذ خرجت الى أن رجعت فسألها عن أخلاقه فقالت ما رأيت ولا سمعت مثله ما رأيته اغتسل في ليل ولا نهار من جنابة وما رأيته أفطر بالنهار قط وكان يأكل آخر الليل ثم يرقد رقدة خفيفة ثم يخرج للصلاة وجاءته امرأته بثوب خز يبيعه لها بمائة فقال هو خير من مائة بكم تقولين فزادت مائة مائة حتى قالت أربعمائة قال هو خير من ذلك قالت تهزأ بي قال هاتي رجلا فجاءت برجل فاشتراه بخمسمائة درهم وقال لولا الخوف من الله تعالي أن يضيع العلم ما أفتيت أحداً يكون لهم الهنا وعلىّ الوزر ولما حبس ببغداد في محنته الآتية أرسل لولده حماد يقول يا بني ان قوتي في الشهر درهمان فمرة للسويق ومرة للخبز وقد حبست فعجله لي واختلطت غنم الكوفة بغنم مغصوبة فسأل كم تعيش الغنم قالوا سبع سنين فترك أكل لحم الغنم سبع سنين ورأى تلك الأيام بعض الجند أكل لحماً ورمى فضلته في نهر الكوفة فسأل عن عمر السمك فقيل له كذا وكذا فامتنع من أكل السمك تلك المدة وقال بعض أئمة أصحابنا الشافعية الأستاذ أبو القاسم القشيري في باب التقوى في رسالته التي هي أعظم كتب السادة الصوفية قدس الله أرواحهم كان أبو حنيفة لا يجلس في ظل شجرة غريمه ويقول كل قرض جرّ منفعة فهو ربا ويوافقه قول يزيد بن هرون ما رأيت أورع منه رأيته جالساً يوماً في الشمس عند باب انسان فقلت له يا أبا حنيفة لو تحولت الى الظل فقال لي على صاحب هذه الدار دراهم ولا أحب ان أجلس في ظل فناء داره قال يزيد فأي ورع أكثر من هذا وفي رواية أنه سئل لما امتنع من الظل

فقال لي على صاحب هذه الدار شيء فكرهت ان أستظل بظل حائطه فيكون ذلك جر منفعة وما أرى ذلك على الناس واجباً ولكن العالم يحتاج أن يأخذ لنفسه من عمله بأكثر مما يدعو الخلق اليه والآثار في ورعه كثيرة

﴿ الفصل التاسع عشر في أمانته ﴾ قال رجل بالشأم للحكم بن هشام الثقفي أخبرني عن أبي حنيفة قال كان أعظم الناس أمانة وأراده السلطان أن يتولى مفاتيح خزائنه أو يضرب ظهره فاختار عذابه على عذاب الله تعالى فقال ما رأيت أحداً يصفه بمثل ما وصفته به قال هو والله كما قلت وقال وكيع كان أبو حنيفة عظيم الأمانة وقال أبو نعيم والفضيل بن دكين كان أبو حنيفة حسن الديانة عظيم الأمانة

﴿ الفصل العشرون في وفور عقله ﴾ روى الخطيب عن ابن المبارك ما رأيت رجلا أعقل منه وعن هرون الرشيد انه ذُكر عنده يوماً فترحم عليه وقال كان ينظر بعين عقله ما لا يراه غيره بعين رأسه وعن عليّ بن عاصم قال لو وزن عقل أبي حنيفة بعقل نصف أهل الأرض لرجح بهم وعن محمد بن عبد الله الأنصاري كان يتبين عقله في منطقه وفعله ومشيه ومدخله ومخرجه وعن خارجة لقيت ألفاً من العلماء فوجدت العاقل منهم ثلاثة أو أربعة فذكره في الثلاثة أو الأربعة وعن يزيد بن هرون أدركت الناس فما رأيت أحداً أعقل ولا أفضل ولا أورع من أبي حنيفة وقال أبو يوسف ما رأيت أحداً أكمل عقلا ولا أتم مروءة من أبي حنيفة وقال يحيى بن معين كان أبو حنيفة أعقل من أن يكذب ما سمعت أحداً يصفه ويذكره بمثل ما كان ابن المبارك يصفه ويذكره به من الخير وذكر حماد ابنه عنه انه احتبى بثوبه في المسجد فسقط في حجره من السقف حية عظيمة فلا والله ما تخلخل ولا تحوّل من مكانه ولا تغير ثم قال (لن يصيبنا إلاّ ما كتب الله لنا) وأخذها بيده اليسرى فرمى بها عنه وقال الشافعي رحمه الله ما قامت النساء عن رجل

أعقل من أبي حنيفة وقال بكر بن حبيش لو جمع عقله وعقل أهل زمنه لرجح عقله على عقولهم

﴿ الفصل الحادى والعشرون في فراسته ﴾ منها انه قال لجماعة من أصحابه أموراً ستقع لهم فكان كما قال منهم زفر ومنهم داود الطائي قال له أنت تتخلى للعبادة ومنهم أبو يوسف قال له أنت تميل الى الدنيا فكان كما قال وقال اذا رأيت الرجل طويل الرأس فاعلم انه أحمق وقيل له كيف رأيت علماء المدينة قال ان أفلح منهم أحد فالأشقر الأزرق يعنى مالك بن أنس ولقد بر وصدق في فراسته لان مالكا بلغ من العلم والفلاح مالم يلحقه أحد من أهل المدينة في عصره وقال اذا رأيت أحداً جيد الحفظ فاستمسك بجمعه واذا رأيت انساناً طويل اللحية فاستمسك بحمقه واذا رأيت طويلا عاقلا فاستمسك به فانه قلما تجد طويلا عاقلا ولما حمل سفيان الثوري ومسعر وأبو حنيفة وشريك الى المنصور قال لهم أبو حنيفة أخمن فيكم تخميناً أما أنا فأحتال لنفسى وأما سفيان فيهرب من الطريق وأما مسعر فيجنن نفسه وأما شريك فيقع فلما ساروا في الطريق قال سفيان أريد أن أتبرز فخرج معه الجندى فصار الى حائط فجلس خلفه فمرت سفينة شوك فقال لهم ان هذا الذى خلف الحائط يريد أن يذبحني فقالوا ادخل السفينة فدخل وغطوه بالشوك فمر على الجندى فلم يره فلما أبطأ ناداه يا أبا عبد الله فلم يجبه فجاءه فلم يره فرجع الى صاحبه فضربه وشتمه فلما دخل الثلاثة على المنصور بادر اليه مسعر فصافحه وقال كيف حالك يا أمير المؤمنين وكيف جواريك وكيف داوبك توليني يا أمير المؤمنين القضاء فقال رجل على رأسه هذا مجنون قال صدقت اخرجوه فخلى سبيله فدعا أبا حنيفة فجاء فقال يا أمير المؤمنين أنا النعمان بن ثابت بن مملوك الخزاز وأهل الكوفة لا يرضون ان يلى عليهم ابن مملوك خزاز قال صدقت فذهب شريك يتكلم فقال اسكت فما بقى أحد غيرك خذ عهدك فقال يا أمير

المؤمنين ان فيَّ نسيانا فقال عليك بمضغ اللبن قال وبي خفة قال نصنع لك الفالوذج تأكله قبل أن تجلس فى مجلس الحكم قال اني أحكم على الصادر والوارد قال احكم ولو على ولدى قال أفعل فكان كما ذكر أبو حنيفة ومر عليه بالمسجد رجل فتفرس فيه انه غريب فى كمه حلاوة ومعلم صبيان فكان كذلك فسئل فقال رأيته ينظر يميناً وشمالا وكذلك الغريب ورأيت الذباب على كمه ورأيته ينظر للصبيان

﴿ الفصل الثانى والعشرون والثالث والعشرون فى عظيم ذكائه وأجوبته المسكتة عن الأسئلة المهتة ﴾ من ذلك ان رجلا ممن يكرهه سأله ما تقول فى رجل لا يرجو الجنة ولا يخاف من النار ولا يخاف الله تعالى ويأكل الميتة ويصلي بلا ركوع ولا سجود ويشهد بما لا يرى ويبغض الحق ويحب الفتنة ويفر عن الرحمة ويصدق اليهود والنصارى فقال ألك بهذه علم قال لا ولكن لم أجد شيئاً هو أشنع من هذا فسألتك عنه فقال أبو حنيفة لأصحابه ما تقولون فى هذا الرجل قالوا هذه صفة كافر فتبسم وقال هو من أولياء الله تعالى حقاً ثم قال للرجل ان أنا أخبرتك انه كذلك تكف عنى لسانك وعن الحفظة ما يضرك قال نعم قال هو يرجو رب الجنة ويخاف رب النار ولا يخاف الله تعالى ان يجور عليه فى عدله وسلطانه ويأكل ميتة السمك ويصلي على الجنازة أو على النبي عليه السلام ومعني شهادته بما لا يرى انه يشهد أن لا اله الا الله وأن محمداً عبده ورسوله ويبغض الحق الذي هو الموت ليطيع الله تعالى والفتنة المال والولد والرحمة المطر ويصدق اليهود فى قولهم ليست النصارى على شئ والنصارى في قولهم ليست اليهود على شئ فقام الرجل وقبل رأسه وقال أشهد أنك على الحق ولما مرض أبو يوسف قال أبو حنيفة لئن مات هذا الغلام لم يخلفه أحد على وجه الارض فلما عوفي أعجب بنفسه وعقد له مجلساً فى الفقه فانصرفت وجوه الناس اليه فلما بلغ أبا حنيفة

ذلك قال لبعض من عنده اذهب الى مجلس يعقوب وقل له ماتقول في قصار دفع اليه رجل ثوباً ليقصره بدرهمين ثم طلب ثوبه فأنكره القصار ثم عاد له وطلبه فدفعه له مقصوراً أله أجرة فان قال نعم قل له أخطأت أولا قل له أخطأت فسار اليه الرجل فسأله فقال نعم له أجرة فقال له أخطأت فنظر ساعة فقال لا فقال أخطأت فقام من ساعته لأبي حنيفة فلما رآه قال ما جاء بك الا مسئلة القصار قال أجل قال سبحان الله من قعد يفتي الناس وعقد لنفسه مجلساً يتكلم فى دين الله تعالى وهذا قدره لا يحسن أن يجيب في مسئلة من الاجارات فقال علمنى قال ان كان قصره بعد ما غصبه فلا أجرة له لانه انما قصره لنفسه أو قبل غصبه فله الأجرة لانه قصره لصاحبه • وحضر مع العلماء وليمة رجل زوّج ابنتيه من أخوين نخرج الولي وهو يقول أصبنا مصيبة عظيمة غلطنا فزفت الى كل واحد غير امرأته وأصابها قال سفيان لا بأس بذلك كما حكم به عليّ كرم الله وجهه فى ذلك بعينه كان معاوية وجه اليه فيها فقال أرى ان على كلٍّ المهر بما أصاب من المرأة وترجع كل الى زوجها فاستحسن الناس منه ذلك وأبو حنيفة ساكت فقال له مسعر قل فيها قال سفيان وما عسي أن يقول فيها خلاف هذا فقال أبو حنيفة عليّ بالغلامين فأحضرا فقال لكل واحد منهما أتحب أن تكون عندك التي زفت اليك قال نعم قال لكل واحد منهما فما اسم امرأتك التي عند أخيك قال هى فلانة قال قل هي طالق منى ثم زوّج كلا التى مسها وأمرهم بتجديد عرس آخر فعجب الناس من فتياه بذلك حتى قام مسعر فقبله وقال تلوموني على حبه وسفيان ساكت لا يقول شيئاً (تنبيه) ما حكم به سفيان عن عليّ كرم الله وجهه لا ينافى ماحكم به أبو حنيفة بل كلا الحكمين حق فأما وجه ما حكم به سفيان فهو ان هذا الوطء وطء شبهة وهو يجب فيه المهر ولا يرفع النكاح وأما وجه ماحكم به أبو حنيفة فهو ان الحكم وان كان كما قاله سفيان لكن ربما ترتبت عليه

مفسدة أي مفسدة لان كلا لو رجعت الى زوجها وقد وطئها الآخر واطلع على محاسنها الباطنة خشى أن تكون نفسه متعلقة بها وأنه لا يسلو عنها بل تزداد تعلقه بها اذا أخذت منه وصارت تحت غيره فاقتضت الحكمة الظاهرة التي ألهمها الله لأبي حنيفة وأطلعه على ما يخشى وقوعه من الفساد لو بقيتا على فتوى سفيان أن يحكم بطلاق كلٍّ زوجته التي وطئها غيره وان يتزوّج كلٌّ من وطئها ولا يحتاج لعدة لان لصاحب عدة وطء الشبهة ان يعقد بالموطوأة فيها ولأجل هذه المصلحة الظاهرة التي لا ينكرها أحد سكت سفيان على فتوى أبي حنيفة واستحسنها الناس منه حتى قبله مسعر لأجلها وكان في جنازة ابن هاشمي سار فيها وجوه أهل الكوفة وعلماؤهم فبرزت أمه كاشفة رأسها ووجهها وألقت عليه ثوبها من شدة وجدها فحلف زوجها بالطلاق لترجعين وحلفت بعتق مماليكها أن لا ترجع حتى يصلى عليه فوقف الناس ولم يتكلم فيها أحد فسأل والده أبا حنيفة فاستعاد منه ومنها حلفهما ثم أمره بالصلاة عليه ثم أمرها بالرجوع فقال له ابن شبرمة عجزت النساء أن يلدن مثلك ما عليك في العلم كلفة . وسأله رجل عن فتح خوخة في حائطه فقال أفتح ماشئت ولا تطلع على جارك وشكاه الي ابن أبي ليلى فمنعه فعاد الى أبي حنيفة فقال له افتح فيه بابا فمنعه ابن أبي ليلى أيضاً فعاد الى أبي حنيفة فقال كم قيمة حائطك قال ثلاثة دنانير قال اهدمه ولك عليّ الثلاثة فجاء ليهدمه فرفعه جاره الى ابن أبي ليلى فقال يريد هدم حائطه وتسألني أن أمنعه اذهب فاهدمه واصنع ما شئت في جدارك فقال له الجار كان فتح الخوخة أهون عليّ قال اذا كان يذهب الى من يدله على خطئي فكيف أصنع اذا تبين الخطأ وسأله ابن المبارك عن درهمين لرجل اختلطا بدرهم لآخر ثم ضاع منها اثنان لا يعلم من أيهما فقال الدرهم الباقي لهما أثلاثا قال ابن المبارك فلقيت ابن شبرمة فسألته فقال سألت عنها أحداً قلت

أبا حنيفة قال قال لك الدرهم الباقي لهما أثلاثا قلت نعم قال أخطأ العبد ولكن درهم من الدرهمين الضائعين يحيط العلم أنه من الدرهمين والدرهم الآخر منهما جميعاً فالباقى بينهما فاستحسنت ما قال فلقيت أبا حنيفة ولو وزن عقله بعقل نصف أهل الارض لرجحهم فقال لي لقيت ابن شبرمة فقال لك قد أحاط العلم ان أحد الدرهمين ضائع وبقى الدرهم الباقي فهو بينهما قلت نعم قال ان الثلاثة حيث اختلطت وجبت الشركة بينهما فصار لصاحب الدرهم ثلث كل درهم ولصاحب الدرهمين ثلثا كل درهم فأي درهم ذهب ذهب بحصتهما (تنبيه) ماقاله أبو حنيفة ظاهر عند من يسلم له أن الاختلاط مع عدم التمييز يقتضى الشركة على الشيوع وما قاله ابن شبرمة له وجه عند من لا يرى الشركة ووجهه ان أحد الدرهمين الضائعين يختص بصاحب الدرهمين يقيناً وبقى لكل درهم يحتمل أنه الموجود ولا مرجح لاحدهما فقسم الدرهم الباقى بينهما وكان بجواره فتى فأتى مجلسه فشاوره في التزوج من قوم مخصوصين طلبوا منه فوق وسعه فأمره بالتزوج بعد الاستخارة ففعل ثم أبوا أن يحملوها اليه الا بعد وفاء كل المهر فذهب اليه وأعلمه بذلك فقال احتل واقترض حتى تدخل بأهلك وأقرضه فى جملة من أقرضه فلما دخل بها قال له ما عليك أن تظهر الخروج بها الى موضع بعيد ففعل فاشتد على أهلها فجاؤا أبا حنيفة يشكونه ويستفتونه فافتاهم بأن له أن يخرجها الى حيث يشاء قالوا ما يمكننا أن ندعها تخرج معه قال فأرضوه برد ما أخذتموه منه فرضوا منه فقال له انهم رضوا بأن يعطوك ما أخذوه من المهر ويبرئوك من الباقى قال أريد فوق ذلك فقال له أيما أحب اليك هذا والا أقررت لرجل بدين فلا يمكن لك السفر حتى توفيه فقال الله الله لا يسمعوا بهذا فلا يعطوني شيئاً وجاءته امرأة فقالت مات أخي وخلف ستمائة دينار فأصابني دينار واحد قال من قسم فريضتكم قالت داود الطائي قال ليس لك الا هو أليس أخوك خلف بنتين وأما وزوجة واثني عشر

أخاً وأختاً قالت نعم قال هو كذلك وحضر يوماً مجلس ابن أبي ليلى فأذن للخصماء في الدخول ليريه امضاءه فى القضاء والحكم فادعى رجل على آخر انه قال له يا ابن الزانية فقال القاضي للمدعى عليه ما تقول فقل له أبوحنيفة كيف تسأله الجواب وليس هو الخصم وانما الخصم أمه فهل ثبتت وكالته عنها قال لا قال فاسأله أحية أمه أم ميتة فسأله فقال ميتة قال البينة فأقامها بموتها فسأل القاضي المدعي عليه فقال له سل المدعي هل لامه وارث غيره فسأله قال لا قال البينة بذلك فأقامها فسأل القاضي المدعى عليه فقل سل المدعى أمه حرة أم أمة فقال حرة قال البينة بذلك فاقامها فسأل القاضى المدعى عليه فقال سل المدعي هل هي مسلمة أم ذمية قال مسلمة قال البينة بذلك فأقامها فقال أبو حنيفة شأنك الآن ولما نزل قتادة الكوفة قال لا يسألنى أحد عن مسألة عن الحلال والحرام الا أجبته فقال له أبوحنيفة ما تقول فيمن غاب عن أهله أعواماً ونعي اليها فظنت موته فتزوجت فقدم بعد ولادتها فنفاه الاول وادعاه الثاني أكل منهما قذفها أم المنكر للولد ثم قال أبو حنيفة ان قال فيها برأيه ليخطئن وان قال فيها حديثاً ليكذبن فقال قتادة أوقعت هذه المسئلة قالوا لا قال فلم تسألون عما لم يكن فقال أبو حنيفة ان العلماء يستعدون للبلاء ويتحرزون منه قبل نزوله ليعرفوا الدخول فيه والخروج منه فقال قتادة دعوا هذا واسألونى عن التفسير قال أبو حنيفة من الذى عنده علم من الكتاب قال آصف بن برخيا كاتب سليمان وكان يعرف الاسم الاعظم قال فهل كان سليمان يعرفه أيضاً قال لا قال أيجوز أن يكون فى زمن نبي من هو أعلم منه قال لا والله لاحدثتكم بشيء من التفسير سلوني عما اختلف فيه العلماء فقال أبو حنيفة أمؤمن أنت قال أرجو قال ولم قال لقوله تعالى والذى أطمع أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين فقال له هلا قلت كما قال ابراهيم لما قال له أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي فقام قتادة مغضباً وحلف أن لا يحدثهم وقال رجل لامرأة مختلة شيئاً فقالت

له يا ابن الزانيين فشكيت الى ابن أبي ليلى فحدها حدين في المسجد قائمة فقال أبو حنيفة أخطأ من ستة أوجه أقام الحد على مجنونة وفي المسجد وضرب المرأة قائمة وهي انما تضرب جالسة وأقام عليها حدين والقذف بكلمة واحدة ولو قذف قوماً بكلمة لم يلزمه الا حد واحد وضربها والحق للأبوين وهما غائبان وحد الثاني قبـل البرء من الحد الاول فشكاه للأمير فمنعه الافتاء ثم وردت مسائل لعيسى بن موسى فسئل عنها فأجاب بما استحسنه عيسى فأذن له فجلس في مجلسه وقال الضحاك تب من تجويزك الحكمين قال تناظرني قل نعم قال فان اختلفنا في شيء فمن يكون بيني وبينك قال اجعل أنت من شئت فقال لبعض أصحاب الضحاك احكم بيننا ثم قال للضحاك أترضى هذا حكما بيني وبينك قال نعم قال أبو حنيفـة فأنت قد جوزت الحكمين فانقطع الضحاك وسأله عطاء عن قوله تعالى (وآتيناه أهله ومثلهم) معهم فقال رد الله تعالى على أيوب أهله ومثل أهله وولده فقال ويرد الله على نبي ولداً ليس له من صلبه قال ما سمعت فيها عافاك الله قال رد عليه أهله وولده من صلبه ومثل أجور ولده فقال هذا حسن ﴿ تنبيه ﴾ ما المانع أن المراد ان الله تعالى آتاه عدد أولاده ومثل ذلك العدد من زوجته التي قال الله تعالى في حقها (وخذ بيدك ضغثاً فاضرب به ولا تحنث) وهذا هو الظاهر من الآية كما لا يخفى وقال له رجل اني حلفت أن لا اكلم امرأتي او تكلمني وحلفت ان لاتكلمني او اكلمها فقال لاحنث عليكما فسمع سفيان الثوري ذلك فجاء مغضباً وقال تبيح الفروج من أين لك هذا قال لما شافهته باليمين بعد ماحلف كانت مكلمة له فسقطت يمينه فان كلمها فلاحنث عليه ولاعليها لانها كلمته وكلها بعد اليمين فسقطت عنهما فقال له سفيان انه ليكشف لك من العلم عن شيء كلنا عنـه غافلون وسأله ابن المبارك عمن وقع في قدر طبيخه طائر فمات فقال لاصحابه ماترون فرووا له عن ابن عباس رضي الله عنهما انه يهراق المرق ويغسل اللحم ويؤكل فقال هذا ان وقع في

حال سكونها فان وقع فى حال غليانها ألقى اللحم فقال له ابن المبارك لم قال لوصول النجس الى باطنه بخلاف الاول لانه انما وصل الى ظاهره فقط فأعجبه ذلك ونسي انسان مالا دفنه فجاء اليه فقال له ليس هـذا فقها فأحتال لك ولكن اذهب فصل الليلة الى الصبح فتتذكر فصلى الرجل فذكر دون ربع الليل فجاءه فأخبره فقال لقـد علمت أن الشيطان لا يدعك تصلى ليلة ويحك هلا أتممت ليلتك شكرا لله تعالى • وشكا اليه مودع انكار وديعة لوديعته وحلف بالله وأكد انه لم يودعه فقال لاتخبر بجحوده احداً فأرسل ابو حنيفة الي وديعه فجاء اليه فلما خلا بالوديع قال له ان هؤلاء بعثوا يستشيرون فى رجل يصلح للقضاء فهل تنشط فتمانع الرجل قايلا فزاد في ترغيبه ثم قال للمودع اذهب فقل له احسـبك نسيت اودعتك كذا بعلامة كذا فقال له ذلك فدفع اليه وديعته فرجع الوديع لابي حنيفة يطلب ان يعينه القضاء فقال له انى ارفع من قدرك ولا اسميك حتى يحضر ماهو اجل من هذا ودخل اللصوص على رجل فأخذوا ثيابه واستحلفوه بالطلاق الثلاث ان لا يعلم بهم احداً فحلف ثم اصبح يرى ثيابه تباع فلا يمكنه ان يتكلم فسأل اباحنيفة فقال أحضرنى من أكابر حيك فأمرهم ان يجتمعوا جميعهم فى موضع ويخرجوا واحداً واحداً ويقال له هذا لصك فان لم يكن قال لا وان كان سكت ففعلوا فسكت فعـرف اللص فردعايه جميع ماأخذ منه وبر فى يمينه لانه لم يخبر بهم أحداً • وسئل عن تحنح المؤذنين عند الاقامة أله أصل قال هو اعلام منهم بانهم يريدون ان يقيموا وقد روي عن على كرّم الله وجهه انه كان له مدخل من رسول الله صلى الله عليه وسلم بالليل قال فكنت اذا جئت وهو فى الصلاة آذني بالتنحنح • وتزوج رجل بامرأة سراً فأتت بولد فجحده فرفعته الي ابن أبى ليلى فقال لها هاتى بينـة على النكاح فقالت انما تزوجني على أن الله تعالى الولي والشاهـدان الملكان فطردها القاضى فأتت أبا حنيفـة وأخبرته فقال لها اذهبي للقاضى وقولى له

أحضره لأقيم عليه بينة فاذا أحضره قولي له قل أنا كافر بالولي والشاهدين فلم يستطع أن يقول ذلك وأقر بالنكاح فألزمه المهر وألحق به الولد (تنبيه) لايتوهم من ذلك أن النكاح خلا عن الولي والشهود معاً فانه حينئذ باطل باجماع من يعتد به وانما الظاهر انه كان سرا بشاهدين مجهولين فلما لم تقدر المرأة على اثباته قالت ذلك ثم أخبرها أبو حنيفة رحمه الله بمايلجئه الى الاقرار ان صدقت وكان ممن يخشي الله فكان الامر كما ألهم رحمة الله عليه وطلب من ابن شبرمة ان يثبت له وصية له فقبل بينته ثم قال له احلف أن شاهديك شهدا بحق قال ليس علي يمين كنت غائبا فقال ضلت مقايسك قال ماتقول في أعمى شج فشهد له شاهدان بذلك أعليه يمين مع شاهديه أنهما شهدا له بحق وهو لم يرفانقطع القاضي وحكم له بالوصية وأنكر يحيي بن سعيد قاضي الكوفة اجماع أهلها على رأي أبي حنيفة فارسل اليه أصحابه يناظرونه منهم زفر وأبو يوسف فقالوا له ماتقول في عبد بين اثنين أعتقه أحدهما قال لايجوز لانه ضرر وهو منهي عنه قالوا فان أعتقه الآخر قال جاز قالوا ناقضت ان كان عتق الاول لغواً فقد أعتقه الثاني وهو عبد فلم ينفذ فسكت وانقطع . وقال الليث بن سعد كنت أسمع بذكر أبي حنيفة وأتمنى رؤيته فاني بمكة اذ رأيت الناس مجتمعين على شخص فسمعت انسانا ينادي ياأبا حنيفة فعلمت انه هو فسأله رجل فقال له ان لي مالا كثيرا وولدا أزوجه وأنفق عليه المال الكثير فيطلق فيذهب مالي فهل لي من حيلة قال ادخل به سوق الرقيق واشتر من يعجبه ثم زوجه اياها فان طلقها رجعت مملوكة لك وان أعتقها لم ينفذ عتقه قال الليث فوالله ماأعجبني جوابه كما أعجبني سرعة جوابه وشك شخص في طلاق زوجته فسأل شريكا فقال طلقها ثم راجعها والثوري فقال قل ان كنت طلقتها فقد راجعتها وزفر فقال هي امرأتك حتى تتيقن طلاقها وأبا حنيفة فقال أما الثوري فأتاك بالورع وأما زفر فأتاك بعين الفقه وأما شريك فهو كرجل قلت له لاأدري أصاب ثوبي

بول أو لا فقال بل على ثوبك فاغسله (تنبيه) لاخلاف بين هؤ لاء الأئمة في المعني للاجماع على أن من شك في طلاق زوجته لا يلزمه شئ بل هو في نكاحه ظاهراً وانما الخلاف في الاولى فرأى شريك ايقاعه لانه مع الشك غير جازم بالرجعة وتعليقها فيه خلاف والثورى الرجعة مع التعليق ولم ينظر للخلاف فيه وأعرض عن ذلك زفر وبين أصل الحكم وهو عدم الوقوع وكان الربيع حاجب المنصور معاديا له فقصد أن يرميه عنده فقال له انه يخالف جدك ابن عباس في قوله ان الاستثناء لايشترط اتصاله فقال ياأمير المؤمنين ان الربيع يزعم انه لابيعة لك في رقاب جندك لانهم يحلفون لك ثم يرجعون بمنازلهم ويستثنون فتبطل بيعتهم فضحك المنصور وقال ياربيع لاتتعرض لأبي حنيفة فلما خرج قال له الربيع أردت قتلي قال لا ولكنك الذى أردت قتلي فخلصتك وخلصت نفسي وقال بعض أعدائه اليوم أقتله عند المنصور ثم سأله بين يديه فقال ياأبا حنيفة ان الرجل منا يدعوه أمير المؤمنين فيأمره بضرب عنق الرجل لاندري ماهو أيسعه ان يضرب عنقه قال أمير المؤمنين يأمر بالحق أو الباطل قال بالحق قال انفذ الحق حيث كان ولاتسأل عنه ثم قال أبو حنيفة ان هذا أراد ان يوثقني فربطته وسرق طاوس مملوك لجاره فشكا اليه فقال اسكت ثم غدا للمسجد فلما اجتمع أهله قال أما يستحى من يسرق طاوس جاره ثم يجيء يصلي وأثر ريشه برأسه فمسح رجل رأسه فقال له ياهذا رد على صاحبك طاوسه فرد وكان الاعمش يغص منه لحدة في خلقه فوقع له ان حلف بطلاق امرأته ان أخبرته بفناء الدقيق أو كتبت به أو أرسلت أو ذكرت لاحد ليذكر له أو أومأت في ذلك فتحيرت في ذلك فقيل لها عليك بأبي حنيفة فقصت عليه ذلك فقال لها اذا فرغ جراب الدقيق شديه بثوبه وهو نائم فاذا استيقظ رآه وعلم فناء الدقيق ففعلت فعلم فناءه وجعل يقول هذا والله من حيل أبي حنيفة كيف نفلح وهو حي وهو يفضحنا في نسائنا يريهن عجزنا ورقة

فهمنا وحلف رجل ليقربن امرأته نهارا في رمضان فتحير الناس فى المخرج من ذلك فقال يسافر بها ويقربها حينئذ وتنبأ فى زمنه رجل قال أمهلوني حتي آتي بعلامة فقال من طلب منه علامة كفر لانه يطلبه وذلك مكذب لقول النبي صلى الله عليه وسلم لانبي بعدي وتزوج أخري على زوجته أم حماد فقالت لابد ان تطلقها ثلاثا والا لاأصاحبك فاحتال وأمر الجديدة ان تدخل له عندها وتسأله أيحل للمرأة ان تهجر زوجها فدخلت وسألته عن ذلك فقالت أم حماد لا بد ان تطلق الجديدة فقال كل امرأة لى خارج هذه الدار فهى طالق ثلاثا فرضيت ولم تطلق الجديدة وقال له رافضى من أشد الناس قال أما على قولنا فعلي كرم الله وجهه لانه علم ان الحق لابي بكر فسلمه له وأما على قولكم فابو بكر لانه أخذه من علي قهراً عليه ولم يمكن عليا ان ينتزعه منه فتحير الرافضى وسئل عمن طلق ثلاثا ان اغتسل اليوم من جنابة ثم طلق ثلاثا ان ترك صلاة من صلوات يومه هذا ثم طلق ثلاثا ان لم يجامع امرأته فى هذا اليوم فقال يصلى العصر ثم يجامعها ثم يغتسل بعد الغروب ويصلي المغرب والعشاء أراد بصلوات اليوم الخمس وسئل عمن قال وزوجته على سلّم انصعدت فأنت طالق وان نزلت فأنت طالق ما الحيلة فيها قال يحمل السلم وهى عليه فيوضع بالارض أو تحمل بغير ارادتها فتوضع بالارض وعمن بيد امرأته قدح ماء فقال ان شربتيه أو صببتيه أو وضعتيه أو ناولتيه انسانا فأنت طالق قال تنزل فيه ثوباً ينشفه به وحلف رجل أن لايأكل البيض ثم حلف ليأكلن مافى كم فلان فاذا هو بيض فقال يحضنه دجاجة فاذا بقى فرخا شواه وأكله أو طبخه وأكله كله مع المرقة (تنبيه) الحيلة عندنا في ذلك أن يجعله فى ناطف ويبر لانه صدق عليه أنه أكل مافى كمه ولم يصدق عليه أنه أكل بيضاً لاستهلاكه وولدت امرأة ولدين ظهرهما واحد فمات أحدهما فقال علماء الكوفة يدفنان جميعاً وقال أبو حنيفة يدفن الميت ويتوصل بالتراب

الى قطع الاتصال ففعلوا فانفصل الحي وعاش وكان يسمى مولع أبي حنيفة واجتمع في المدينة بمحمد بن الحسن بن عليّ رضي الله عنهم فقال له أنت الذي خالفت أحاديث جدى صلى الله عليه وسلم بالقياس فقال معاذالله من ذلك اجلس فان لك حرمة كحرمة جدك عليه أفضل الصلاة والسلام فجلس وجثى أبو حنيفة بين يديه فقال له الرجل أضعف أم المرأة فقال المرأة قال كم سهمها قال نصف سهم الرجل قال لو قلت بالقياس لقلبت الحكم ثم قال الصلاة أفضل أم الصوم قال الصلاة قال لو قلت بالقياس لامرت الحائض بقضائها دون قضائه ثم قال البول نجس أم النطفة قال البول قال لو قلت بالقياس لاوجبت الغسل من البول دون المنى معاذ الله أن أقول على غير الحديث بل أخدم قوله فقام وقبل وجهه وقدم غريب الكوفة بزوجة فائقة الجمال فعاق بها كوفى وادعي أنها زوجته وصدت عنه وعجز زوجها عن اثبات نكاحه وعرضت المسئلة على أبى حنيفة فذهب هو وابن أبى ليلى وجماعة الى رحل الزوج وأمر نسوة أن يدخلنه فعوت عليهن كلابه ثم أمر المرأة أن تدخل فتبصبص حولها فقال الامام ظهر الحق فاعترفت المرأة ونظير ذلك مانقل عن علماء مذهبه أنه اذا خلا بامرأته ومعه كلبه صحت الخلوة وتأكد الصداق أو كلبها لم يتأكد وأراه ابن هبيرة فصاً مكتوباً عليه عطاء بن عبد الله وقال أكره التختم به لما كان اسم غيري عليه ولا يمكن حكه فقال دور وأس الباء يكون عطاء من عند الله فتعجب من سرعة استخراجه وقال له أكثر المجيء الينا قال وما أصنع عندك ان قربتني فتنتنى وان أقصيتنى أخزيتني وليس عندى ما أخافك عليه وقال ذلك أيضاً لما قال له كل من المنصور وأمير الكوفة عيسى بن موسى لو أكثرت المجيء الينا ودخل الضحاك المروزى الكوفة وامر بقتل الرجال كلهم فخرج اليه أبو حنيفة في قميص ورداء فقال له لم امرت بقتل الرجال قال لانهم مرتدون قال أكان دينهم غير ماهم عليه فارتدوا حتى صاروا الى ماهم عليه أم كان هذا دينهم قال أعد

ما قلت فأعاد فقال الضحاك أخطأنا فغمدوا سيوفهم ونجا الناس وفي رواية ان الخوارج لما دخلوا الكوفة ورأيهم تكفير كل من خالفهم قيل لهم عن أبي حنيفة هذا شيخ هؤلاء فأحضروه وقالوا تب من الكفر فقال أنا تائب من كل كفر فقيل لهم انه قال أنا تائب من كفركم فأخذوه فقال لهم ابعلم قلتم ام بظن قالوا بظن قال ان بعض الظن اثم والاثم كفر عندكم فتوبوا من الكفر قالوا تب انت أيضاً من الكفر (تنبيه) وقع لبعض حساد أبي حنيفة الذين ينتقصونه بماهو بريء منه أنه ذكر من مثالبه انه كفر مرتين واستتيب مرتين وانما وقع له ذلك مع الخوارج فأراد انتقاصه به وليس بنقص بل هو غاية في رفعته اذ لم يوجد أحد يحاجهم غيره رحمة الله عليه واوصى رجل الى آخر وسلمه كيساً فيه الف دينار وقال اذا كبر ولدى فأعطه ماتحب فلما كبر أعطاه الكيس دون مافيه فجاء الولد لابى حنيفة وذكر له الخبر فدعا الوصى وقال اعطه الالف لان الذى تحبه هو الذى امسكته اذ كل احد غالباً انما يمسك الذى يحبه ويعطي الذى لايحبه وكان بعض المحدثين يقع فيه فوقع فى ورطة لم ير من يخلصه منها غيره وهى انه قال لزوجته ان سألتني الليلة الطلاق ولم أطلقك فأنت طالق وقالت ان لم أسألك الليلة الطلاق فعبدى حر فقال لها الامام سليه الطلاق وقال له قل أنت طالق ان شئت ثم قال اذهب فلاحنث عليكما وقال له تب الى الله من الوقيعة فيمن حمل اليك العلم فتاب وكانا بعد يدعو ان له دبر كل صلاة وحلف شخص بالطلاق من زوجته ان لم تطبخ له قدراً فيها مكوك ملح لا يظهر له أثر فى الطعام المطبوخ فسئل عنها فقال تطبخ بيضة فى قدر وتلقى عليه الملح المحلوف عليه وأكثر منه وأراد جماعة من الدهرية قتله فقال حتى نبحث فى مسئلة ثم شأنكم وماأردتم فقال ماتقولون فى سفينة مشحونة بالأثقال فى بحر ذىموج متلاطم بالامواج أيجوز هذا قالوا هذامحال قال أيجوز فىالعقل مثل وجود هذه الدنيا مع تباين أطرافها واختلاف

أحوالها وأمورها وتغيير أعمالها وأفعالها من غير صانع حكيم ومدبر عليم فتابوا جميعاً وغمدوا سيوفهم وجاءه رجل له على آخر ألف أنكره وأراد الحلف وليس مع المدعي الا شاهد واحد وعلم أبو حنيفة صدقه فأمره أن يهبه لحاضر بحضرة شاهده ثم أمر الحاضر بالدعوى على المدين بالالف وأمر الشاهد والواهب أن يشهدا له بالالف ففعلا فحكم القاضى بالالف وهذا الباب طويل وفيما ذكرناه كفاية على أن فى بعض مالم نذكره خللا أو نزاعا فى ثبوته أوجب حذفه

﴿ الفصل الرابع والعشرون فى حلمه ونحوه ﴾ قال يزيد بن هرون مارأيت أحلم منه كان له فضل ودين وورع وحفظ لسان واقبال على مايعنيه وقال غيره شتمه رجل وأطال نحو يازنديق فقال له غفرالله لك هو يعلم منى خلاف ماتقول وقال عبد الرزاق مارأيت أحلم منه كنا معه بمسجد الخيف والناس حوله فسأله بصري عن مسئلة فأجابه فاعترضه أن الحسن خالفه فقال أخطأ الحسن فقال له رجل ياابن الزانية أنت تقول أخطأ الحسن فصاح الناس وهموا به فسكنهم أبو حنيفة وأطرق ساعة ثم رفع رأسه فقال نعم أخطأ الحسن وأصاب ابن مسعود فيما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان يقول ما جازيت أحداً بسوء قط ولا لعنت أحداً ولا ظلمت مسلماً ولا معاهداً ولا غششت أحداً ولاخدعته وقيل له ان الثورى ينال منك ويتكلم فيك فقال غفر الله له ثم مدحه وكان بجواره اسكاف اذا سكر يتغنى (شعر)

أضاعونى وأي فتى أضاعوا ليوم كريهة وسداد ثغر

ففقد صوته ليلة فقيل أخذه العسس فركب للامير فزاد فى تعظيمه وأمر باطلاقه واطلاق كل من مسك تلك الليلة ومابعدها فركب راجعاً والاسكاف يمشى خلفه فقال يافتى أضعناك قال لا بل حفظت ورعيت جزاك الله خيراً ثم تاب وحسنت توبته ولازم مجلسه حتى صار فقيها وقال الوليد بن القاسم كان

كريم الطبع عظيم التفقد والمواساة لاصحابه وقال عصام لم يكن لاحد من الحق كما لابي حنيفة على أصحابه وكان الذباب اذاوقع على أحدمنهم يرى مشقة ذلك عليه وقيل له عن بعضهم أنه سقط من سطحه فصاح صيحة سمعها من في المسجد وقام فزعا عليه حافياً ثم بكى وقال لوأ مكنني حمل ذلك حملته وكان يأتيه صباحا ومساء حتى برئ وجاءه رجل فقال اني وضعت كتابا على خطك الى فلان فأعطاني أربعة آلاف درهم فقال أبوحنيفة ان كنتم منتفعون بهذا فافعلوه وقال أبومعاذ كان أبوحنيفة مع معرفته بقربي من سفيان وبينهما ماين الاقران يقربني ويقضي حوائجي وكان حليما ورعا وقورا قد جمع الله فيه خصالا شريفة وشتمه رجل وهو في درسه وأكثر فما التفت اليه ولا قطع كلامه ونهي أصحابه عن مخاطبته فلما فرغ وقام تبعه الى باب داره فقام على بابه وقال للرجل هذه داري ان كان بقي معك شئ فأتمه حتى لايبقى في نفسك شئ فاستحي الرجل وفي قصة أخري انه تبعه فلما دخل جعل يسب ويشتم فلم يجبه أحد فقال أتعدوني كلبا فقيل من داخل الدار نعم وقال أبو يوسف كان يحمل والدته على حمار الى مجلس عمر بن ذر كراهية ان يرد أمرها وقال أبو حنيفة ربما ذهبت بها الي مجلسه وربما أمرتني أن أذهب اليه واسأله عن مسئلة فآتيه وأذكره له وأقول له ان أمي أمرتني أن أسألك عنه فيقول وأنت تسألني عن هذا فأقول هي أمرتني فيقول قل لي كيف هو حتى أخبرك فأخبره بالجواب ثم يخبرني به فآتيها وأخبرها عنه بما قال ونظير ذلك انها استفتت عن شئ فافتاها فلم تقبله وقالت لا أقبل الا قول زرعة القاص أى الواعظ فجاء بها اليه وقال له ان أمي تستفتيك في كذا فقال أنت أعلم وأفقه فافتها قال أفتيتها بكذا فقال زرعة القول ماقال أبو حنيفة فرضيت وانصرفت وقال الجرجاني سأله بحضرتي شاب فأجابه فقال له أخطأت فقلت لمن حوله سبحان الله ألا تعظمون هذا الشيخ فالتفت الي فقال دعهم فاني قد عودتهم ذلك من نفسي

وقال ماصليت صلاة منذ مات حماد الا استغفرت له مع والدى وما مددت رجلى نحو داره وان بينى وبينه سبع سكك واني لاستغفر لمن تعلمت منه أو علمني وقال ابن المبارك ما كان أوقر من مجلسه كان حسن السمت حسن الثوب حسن الوجه وقال زفر كان حمولا صبورا ومر به سفيان بن عيينة وقد ارتفع صوته وصوت أصحابه بالمسجد فقال ياأبا حنيفة هذا مسجد والصوت لا يرفع فيه فقال دعهم فانهم لا يفقهون الا به وقال الرشيد لابي يوسف صف لى أخلاق أبي حنيفة فقال ياأمير المؤمنين ان الله عز وجل يقول (مايلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد) كان علمي به رحمه الله كان شديد الذب عن محارم الله تعالى ان تؤتي شديد الورع لا ينطق فى دين الله بما لا يعلم يحب ان يطاع الله تعالى ولا يعصى مجانباً لاهل الدنيا في زمانهم لا ينافس في عزها طويل الصمت دائم الفكر على علم واسع لم يكن مهذاراً ولا ثر ناراً ان سئل عن مسئلة وكان عنده فيها علم نطق به وأصاب فيها وان كان غير ذلك قاس على الحق واتبعه صائناً لنفسه ودينه بذولا للعلم والمال مستغنياً بنفسه عن جميع الناس لا يميل الى طمع بعيداً عن الغيبة لا يذكر أحداً الا بخير فقال الرشيد هذه أخلاق الصالحين وقال المعافى الموصلي كان فيه عشر خصال ما كانت واحدة منها في انسان الاصار رئيساً في وقته وساد قبيلته الورع والصدق والعفة ومداراة الناس والمودة الصادقة والاقبال على ما ينفع وطول الصمت والاصابة بالقول ومعونة اللهفان والوعد وقال ابن نمير كان يجلس ومعه أصحابه كزفر وداود الطائي والقاسم بن معن فيتطارحون مسئلة فيما بينهم فترتفع فيها أصواتهم ثم يتكلم أبو حنيفة فيسكتون حتى يفرغ فيتحفظون ماتكلم به فاذا أحكموا أخذوا في مسئلة أخرى وكان يقول لو كان العوام لي عبيد الا عتقتهم وتبرأت من ولائهم

﴿ الفصل الخامس والعشرون فى أكله من كسبه ورده للجوائز ﴾ قدتواتر

عنه رحمة الله عليه انه كان يتجر في الخز مسعودا ماهراً فيه وله دكان في الكوفة وشركاء يسافرون له في شراء ذلك وبيعه مستغنياً بنفسه لا يميل الى طمع ومن ثمة قال الحسن بن زياد والله ماقبل لاحد منهم أي الخلفاء والامراء جائزة ولا هدية ووصل اليه من المنصور ثلاثون ألف درهم في دفعات فقال له ياأمير المؤمنين اني ببغداد غريب وعندي ودائع الناس وليس لها عندي موضع فاجعلها في بيت المال فأجابه فلما مات أخرجت ودائع الناس من بيت المال فرأوها فقال المنصور خدعنا أبو حنيفة وقال مصعب أجازه المنصور بعشرة آلاف درهم نخشى انه ان ردها غضب وان قبلها دخل عليه في دينه مايكرهه فشاورني فقلت هذا مال عظيم في عينه اذا دعيت لقبضه لم يكن هذا أملي من أمير المؤمنين فدعي لقبضه فقال ذلك فبلغ المنصور فحبس الجائزة فكان يكاد لا يشاور في أمره غيري وخاصمت المنصور زوجته في ميله عنها وطلبت العدل ثم رضيت ان يكون أبو حنيفة حكما بينهما فاحضر وجلست خلف الستر فقال له المنصور كم يحل من النساء قال أربع قال ومن الاماء قال ماشاء قال هل يجوز لاحد ان يقول بخلاف ذلك قال لا قال اسمعي ياهذه ثم قال ياأمير المؤمنين انما أحل الله تعالى ذلك لاهل العدل والا فالواحدة قال تعالى فان خفتم أن لا تعدلوا فواحدة الآية فينبغي لنا أن نتأدب بآداب الله تعالى فنتعظ بمواعظه فسكت المنصور فلما خرج أبو حنيفة اتبعته هدية سنية فردها عليها وقال انما ناضلت عن دين الله لا تقربا لاحد ولا طلباً لدنيا

﴿ الفصل السادس والعشرون في ملبسه ﴾ قال حماد ولده كان حسن الهيئة كثير التعطر يعرف بالريح الطيبة قبل أن يرى وقال أبو يوسف كان يتعهد شسعه حتى لم ير منقطع الشسع وقال غيرهما كان يلبس قلنسوة طويلة سوداء قال النضر قال لي وقد أراد الركوب أعطني كساءك وخذ كسائي ففعلت فلما رجع قال لي أخجلتني بغلظ كسائك وكان بخمسة دنانير ثم رأيت

عليه كساء قومته بثلاثين ديناراً وقوم رداؤه وقميصه بأربعمائة درهم وكان له لباس جبة فنك وجبة سنجاب ثعلب يصلي ورداء عليه علم وسبع قلانس احداهن سوداء

﴿ الفصل السابع والعشرون فى شئ من حكمه وآدابه ﴾ كان يتمثل كثيراً يقول القائل (شعر)

كفى خزنا أن لاحياة هنيئة ولا عمل يرضى به الله صالح

وكان يقول من تكلم فى شئ من العلم وتقلده وهو يظن ان الله تعالى لا يسأله عنه كيف أفتيت فى دين الله فقد سهلت عليه نفسه ودينه من طلب الرياسة قبل وقتها عاش فى ذل لايعرف الفقه وقدره وقدرأهله من كان ثقيل المجالسة رأيت المعاصى ذلة فتركها مروءة فصارت ديانة من لم يمنعه العلم عن محارم الله تعالى فهو من الخاسرين جمع الهم بحذف العلائق بان لا يأخذ الا قدر حاجة يعين على حفظ الفقه ان لم يكن أولياء الله تعالى فى الدنيا والآخرة العلماء فليس لله ولي وأفتى بعد الصبح فى مسائل فأجاب فيها فقيل له ألبس كانوا يكرهون الكلام فى مثل هذا الوقت الا بخير فقال أبوحنيفة وأى خير أكثر من أن يقول هذا حلال وهذا حرام تنزه الله وتحذر الخلق من معاصيه ان الجراب اذافرغ من الزاد ضاع صاحبه وأتى اليه رجل بكتاب شفاعة ليحدثه فقال ماهذا بطلب العلم قد أخذالله الميثاق على العلماء ليبيننه للناس ولايكتمونه لا يكون العالم له خواص ولكن يعلم الناس ويريد الله بتعليمه وقال لبعض الناس لا تسألنى عن أمر الدين وأنا ماش أو أحدث الناس أو نائم أو متكئ فان هذه الاماكن لا يجتمع فيها عقل الرجال وسئل عن على ومعاوية وقتلى صفين فقال أخاف أن أقدم على الله تعالى بشئ يسألنى عنه ولو سكت لم أسئل عنه بل عما كلفت به فالاشتغال به أولي وقال لاصحابه ان لم تريدوا بهذا العلم الخير ماتوفقوا وكان يقول عجبت لقوم يقولون بالظن ويعملون به والله تعالى

يقول لنبيه صلى الله عليه وسلم (ولا تقف ماليس لك به علم) الآية (تنبيه)
يتعين تأويل كلامه هذا رحمة الله عليه على أن تعجبه انما هو ممن يقول بالظن
أو يعمل به في العقائد المطلوب فيها اليقين أو في الفروع وليس مجتهداً ولا
مقلدا لمجتهد بخلاف المجتهد ومقلديه لان الفقه من باب الظنون وان قيل الحكم
معلوم والظن انما هو فى طريقه ولذا عبروا فى حده بانه العلم بالاحكام الخ وقال
من تعلم العلم للدنيا حرم بركته ولم يرسخ فى قلبه ولم ينتفع به كثيراً أحد
ومن تعلمه للدين بورك له فيه ورسخ فى قلبه وانتفع المقتبسون منه بعلمه وقال
لابراهيم بن أدهم ياابراهيم انك قد رزقت من العبادة شيئاً صالحاً فليكن العلم
من بالك فانه رأس العبادة وبه قوام الامور وقال من يطلب الحديث ولم يتفقه
كان كمن يجمع الادوية ولا يدري منافعها حتى يجئ الطبيب كما ان المحدث لا
يعرف وجه حديثه حتى يجئ الفقيه • اذا أردت حاجة من حاجات الدنيا فلا
تأكل حتي تقضيها فان الاكل يغير العقل وظاهر أن مراده الاكل الكثير
وقال له المنصور لم لم تغشنا قال لانه ليس عندى ماأخافك عليه وان قربتنى فتنتنى
وان أقصيتنى أخزيتنى وقال لامير الكوفة كسرة خبز وقعب ماء وفر وثوب
مع السلامة خير من العيش في نعيم يكون من بعده ندامة وكان يقول اذا تكلم
عنده فى الناس اياكم ونقل مالايحبه الناس عفا الله عمن قال فينا مكروها ورحم
الله من قال فينا جميلا تفقهوا فى دين الله تعالى وذروا الناس وماقد اختاروا
لانفسهم فيحوجهم الله تعالى اليكم وقال من كرمت عليه نفسه هانت عليه الدنيا
وكل شدة فيها • من قطع عليك حديثك فلا تعده فانه قليل المحبة فى العلم
والادب • لا تجمع لحبيبك الذنوب وهو نفسك والمال لبغيضك وهو الوارث
• ماقاتل أحد عليا الا وعلى أعلى بالحق منه ولولا ماشاع من علي فيهم ماعلم أحد
كيف السيرة في قتال بغاة المسلمين ونظير هذا قول الشافعى رحمه الله أخذت
أحكام البغاة وقتالهم من قتال علي لمعاوية رضى الله عنهما وأجاب في مسئلة

فقيل له لا يزال هذا المصر أي الكوفة بخير ماأبقاك الله تعالى فيه فقال (شعراً)

خلت الديار فسدتُ غير مسوَّد ومن العناء تفردي بالسُّودد

وتقدم ولده حماد ليصلي بالناس فأخذ أبو حنيفة بمجامع ثوبه فأخره وقدم غيره فقال يا أبت تفضحني قال بل أردت أن تفضح نفسك فمنعتك اذ لو صليت فقال قائل أعيدوا صلاتكم خلف هذا فسطر فى الكتب ويبقى عاره الى يوم القيامة

﴿ الفصل الثامن والعشرون فى محنته لما أرادوا توليته الوظائف الجليلة كالقضاء ونظر بيت المال فامتنع ﴾ قال الربيع أرسلنى لاحضاره يزيد بن عمرو بن هبيرة متولى العراق لمروان بن محمد آخر ملوك بني أمية فأراده على بيت المال فأبى فضربه أسواطا وبسط هذه القصة ان ابن هبيرة كان والياً على العراق من بنى أمية فظهرت الفتنة بالعراق فجمع فقهاء العراق فولى كلا منهم شيئاً من عمله وأرسل الى أبي حنيفة ليكون على خاتمه ولا ينفذ كتاب ولا يخرج شئ من بيت المال الا من تحت يده فامتنع فحلف ان لم يفعل ليضربنه فقال له الفقهاء ننشدك الله أن لا تهلك نفسك فانا اخوانك وكلنا كاره لهذا الامر ولم نجد بدا من قبوله فأبى وقال لو أرادني أن أعدّ له أبواب المسجد لم أفعل فكيف وهو يريد أن يكتب بضرب عنق رجل مسلم أى مثلا وخص ذلك لان القتل أعظم الكبائر بعد الشرك وأختم أنا على ذلك الكتاب فوالله لا أدخل فى هذا أبداً فحبسه صاحب الشرطة جمعتين لم يضربه ثم ضربه أربعة عشر سوطاً وفى رواية انه ضرب أياما متوالية فجاء الرجل لابن هبيرة فقال له ان الرجل ميت فقال قل له يخرجنا من يميننا فسأله فقال لو سألنى ان أعدّ له أبواب المسجد مافعلت دعونى أستشير اخوانى فى ذلك فاغتنم ابن هبيرة ذلك فأمر بتخليته فركب دوابه وهرب الى مكة سنة مائة وثلاثين فأقام بها الى أن صارت الخلافة العباسية فقدم الكوفة زمن المنصور فأكرمه وأجله وأمر له بعشرة آلاف

درهم وجارية فأبى قبول ذلك ، وروى الخطيب واقعة أخرى له مع ابن هبيرة هي انه كلمه في أن يلي الكوفة فأبى عليه فضربه مائة سوط وعشرة أسواط في كل يوم عشرة أسواط وهو على الامتناع فلما رأى ذلك خلى سبيله وفي رواية انه أمره بولاية القضاء فامتنع فحبسه فقيل له انه حلف أن لا يخرجك حتى تلي ولاية وانه يريد بناء تعدّ له اللبن فقال والله ولو سألني ان أعدّ له أبواب المسجد ما فعلت ولما خلى سبيله قال كان غم والدتي بضربي عليّ أشد من الضرب وفي رواية انه أمر بضربه على رأسه فانتفخ رأسه ثم أمر باطلاقه وذكر أنه رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم في النوم وهو يقول له أما تخاف الله تعالى تضرب رجلا من أمتي بلا جرم وهدده فأرسل اليه فأخرجه واستحله وكان أحمد بن حنبل لما ضرب في محنته يتذكر حال أبي حنيفة ويترحم عليه ووقع له مع المنصور نحو ذلك وذلك أن ابن أبي ليلى قاضي الكوفة لما مات قال المنصور خلت الكوفة من حاكم عدل ثم أمر بحمل أبي حنيفة ومسعر والثوري وشريك فحملوا اليه فقال لهم أبو حنيفة أخمن فيكم تخمينا أما أنا فأحتال وأتخلص وأما مسعر فيتجانن وأما سفيان فيهرب وأما شريك فيقع فلما قربوا من بغداد أظهر سفيان أنه يريد قضاء الحاجة فجلس الموكل به ينتظره فرأى سفينة فقال للملاح لها ان لم تمكني منها ذبحت تأول قوله صلى الله عليه وسلم من جعل قاضياً فقد ذبح بغير سكين ودفع للملاح دراهم فلما لم يجده الموكل به هرب أيضاً فلما دخلوا على المنصور تقدم اليه مسعر فقال له هات يدك كيف أنت ودوابك وأولادك فقال أخرجوه فانه مجنون وعرض على أبي حنيفة توليـة القضاء فأبى عليه فحلف ليفعلن فحلف أبو حنيفة أن لا يفعل فأعاد المنصور فأعاد أبو حنيفة فقال له الربيع الحاجب ألا ترى أمير المؤمنين يحلف قال هو أقدر على كفارة يمينه مني على كفارة يميني فأمر بحبسه ثم دعا به فقال أترغب عما نحن فيه فقال أصلح الله أمير المؤمنين ياأمير المؤمنين اتق الله ولا تشرك في أمانتك من لا

يخاف الله والله ما أنا مأمون الرضا فكيف أكون مأمون الغضب فلا أصلح لذلك فقال كذبت أنت تصاح لذلك فقال ياأمير المؤمنين قد حكمت على نفسك ان كنت صادقا فقد أخبرت أمير المؤمنين انى لا أصلح وان كنت كاذباً فكيف يحل لك أن تولى قاضياً كذابا ومع ذلك فاني رجل مَوْلى ولا تكاد العرب ترضى بأن يكون عليهم مولى فأمر به الى الحبس وعرض على شريك ذلك فقبله فهجره الثوري فقال أمكنك الهرب فلم تهرب وما قيل انه تولى عد اللبن أياما ليكفر عن يمينه رده الائمة بأن الصحيح انه توفى في السجن من الضرب أو السم كما يأتى

﴿ الفصل التاسع والعشرون فى سنده فى القراءة ﴾ جاء فى عدة طرق انه أخذ القراءة عن الامام عاصم أحد القراء السبعة ووقع لجماعة من المفسرين وغيرهم أنهم نسبوا اليه قرا آت شاذة اختار القراءة بها وقد شنع أئمة من الحفاظ المتأخرين عليهم فى ذلك وأنهم اغتروا فى نقل ذلك عنه على كتاب لشخص اسمه محمد بن جعفر الخزاعى ألفه فى قرا آت أبى حنيفة وقد صرح جماعة منهم الدارقطني بان ذلك الكتاب موضوع لا أصل له وأبو حنيفة برىء من ذلك اذ هو أعقل وأدين من أن يعدل عن القرا آت المتواترة الى قرا آت شاذة ولا وجه لكثير منها

﴿ الفصل الثلاثون فى سنده فى الحديث ﴾ مر انه أخذ عن أربعة آلاف شيخ من أئمة التابعين وغيرهم ومن ثمة ذكره الذهبي وغيره فى طبقات الحفاظ من المحدثين ومن زعم قلة اعتنائه بالحديث فهواما لتساهله أوحسده اذ كيف يتأتى لمن هو كذلك استنباط مثل ما استنبطه من المسائل التى لا تحصى كثرة مع انه أول من استنبط من الادلة على الوجه المخصوص المعروف فى كتب أصحابه رحمة الله عليهم ولاجل اشتغاله بهذا الاهم لم يظهر حديثه فى الخارج كما ان أبا بكر وعمر رضى الله عنهما لما اشتغلا بمصالح المسلمين العامة لم يظهر

عنهما من رواية الاحاديث مثل ماظهر عمن دونهما حتى صغار الصحابة رضوان الله عليهم وكذلك مالك والشافعي لم يظهر عنهما مثل ماظهر عمن تفرغ للرواية كأبي زرعة وابن معين لاشتغالهما بذلك الاستنباط على ان كثرة الرواية بدون دراية ليس فيه كبير مدح بل عقد له ابن عبد البر بابا في ذمه ثم قال الذى عليه فقهاء جماعة المسلمين وعلماؤهم ذم الاكثار من الحديث بدون تفقه ولا تدبر وقال ابن شبرمة أقل الرواية تفقه وقال ابن المبارك ليكن الذى يعتمد عليه الاثر وخذ من الرأي مايفسر لك الحديث ومن أعذار أبي حنيفة أيضاً مايفيده قوله لا ينبغي للرجل أن يحدث من الحديث الا بما حفظه يوم سمعه الى يوم يحدث به فهو لايري الرواية الالمن حفظه وروى الخطيب عن اسرائيل ابن يونس انه قال نعم الرجل النعمان ما كان أحفظه لكل حديث فيه فقه وأشد فحصه عنه وأعلم بما فيه من الفقه وعن أبي يوسف مارأيت أحداً أعلم بتفسير الحديث ومواضع النكت التي فيه من الفقه من أبي حنيفة وقال أيضا ماخالفته في شيء قط فتدبرته الارأيت مذهبه الذى ذهب اليه أنجى في الآخرة وكنت ربما ملت الى الحديث فكان هو أبصر بالحديث الصحيح مني وقال كان اذا صمم على قول درت على مشايخ الكوفة هل أجد في تقوية قوله حديثاً أو أثراً فربما وجدت الحديثين والثلاثة فأتيته بها فمنها مايقول فيه هذا غير صحيح أو غير معروف فأقول له وما علمك بذلك مع انه يوافق قولك فيقول أنا عالم بعلم أهل الكوفة وكان عند الاعمش فسئل عن مسائل فقال لابي حنيفة ماتقول فيها فأجابه قال من أين لك هذا قال من أحاديثك التي رويتها عنك وسرد له عدة أحاديث بطرقها فقال الاعمش حسبك ماحدثتك في مائة يوم تحدثني به في ساعة واحدة ماعلمت انك تعمل بهذه الاحاديث يامعشر الفقهاء أنتم الاطباء ونحن الصيادلة وأنت أيها الرجل أخذت بكلا الطرفين وقد خرج الحفاظ من أحاديثه مسانيد كثيرة اتصل بنا كثير منها كما هو مذكور في مسندات

مشايخنا وحذفتها لطول الكلام عليها مع أنه ليس فيها كثير غرض ه
﴿ الفصل الحادى والثلاثون في سبب وفاته ﴾ مر ان المنصور طلبه للقضاء وأن يكون قضاة بلاد الاسلام من تحت أمره فامتنع فحلف وغلظ ان لم يفعل ليحبسنه وليشددن عليه فامتنع فحبسه وكان يرسل له ان أحببت الخلاص فاقبل فيمتنع ولما شدد الامتناع أمر ان يخرج كل يوم فيضرب عشرة أسواط وينادى عليه فى الاسواق فاخرج وضرب ضربا موجعاً حتي سال الدم على عقبيه ونودى عليه وهو كذلك في الاسواق ثم أعيد الى الحبس وضيق عليه تضييقاً شديداً حتى في مأكله ومشربه ثم فعل به ذلك الضرب الشديد والنداء في اليوم الثاني والثالث ثم هكذا الى عشرة أيام فحينئذ بكى واكثر الدعاء فتوفى بعد خمسة أيام وروى جماعة انه رفع اليه قدح فيه سم ليشرب فامتنع وقال اني لاعلم مافيه ولا أعين على قتل نفسى فطرح ثم صب في فيه قهراً فمات وقيل ان ذلك كان بحضرة المنصور وصح انه لما أحس بالموت سجد فخرجت نفسه وهو ساجد ٠٠ قيل الامتناع عن القضاء لا يوجب للمنصور أن يقتله هذه القتلة الشنيعة وانما السبب في ذلك أن بعض أعداء أبى حنيفة دس الى المنصور ان أبا حنيفة هو الذى أثار عليه ابراهيم بن عبد الله بن الحسن بن الحسين بن على رضى الله عنهم الخارج عليه بالبصرة فخاف خوفاً شديداً ولم يقر له قرار وانه قواه بمال كثير فخشى المنصور من ميله الى ابراهيم لانه أعنى أبا حنيفة كان وجيها ذا مال واسع من التجارة فطلبه لبغداد ولم يجسر على قتله بغير سبب فطلب منه القضاء مع علمه بانه لا يقبله ليتوصل بذلك الى قتله
﴿ الفصل الثانى والثلاثون في تاريخ وفاته ﴾ اتفقوا على انه رحمة الله عليه مات سنة مائة وخمسين عن سبعين سنة والقول الذى انه مات في سنة مائة واحدى وخمسين غلط كما صرحوا به قال كثيرون وكان موته فى رجب وقيل شعبان وقيل نصف شوال ولم يخلف غير ولده حماد

﴿ الفصل الثالث والثلاثون فى تجهيزه ﴾ لما توفي رحمة الله عليه أخرج من مكان حبسه فحمله خمسة أنفس الي أن أتوابه الى مكان غسله فغسله الحسن ابن عمارة قاضى بغداد وصب عليه أبورجاء عبدالله بن واقد الهروي ولمافرغ الحسن من غسله قال رحمك الله لم تفطر منذ ثلاثين سنة ولم تتوسد يمينك بالليل منذ أربعين سنة كنت أفقهنا وأعبدنا وأزهدنا وأجمعنا لخصال الخير وقبرت اذ قبرت الي خير وسنة وأتعبت من بعدك ومافرغوا من غسله الاوقد اجتمع من أهل بغداد خلق لايحصيهم الاالله تعالي كأنه نودى لهم بموته وحزر من صلي عليه فقيل بلغوا خمسين ألفاوقيل أكثر وأعيدت الصلاة عليه ست مرات آخرها ابنه حماد ولم يقدر علي دفنه الى بعد العصر من الزحام ومكث الناس يصلون على قبره نحو عشرين يوما وأوصى أن يدفن بمقابر الخيزران بالجانب الشرقى لان أرضها طيبة غير مغصوبة ولمابلغ المنصور ذلك قال يعذر فيك حياً وميتاً ولمابلغ ابن جريج فقيه مكة وشيخ شيخ الشافعي موته استرجع وقال أي علم ذهب ولما بلغ شعبة استرجع وقال طفئ عن الكوفة نور العلم أما انهم لايرون مثله أبداً وبعد مدة طويلة بنى على قبره الملك أبو سعد المستوفى الخوارزمي قبة عظيمة والى جانبها مدرسة .

﴿ الفصل الرابع والثلاثون فيماسمع من الهواتف بعدموته ﴾ جاء عن صدقة المغابري وكان مجاب الدعوة انه لما دفن أبو حنيفة سمع صوتا فى الليل ثلاث ليال يقول (شعرا)

ذهب الفقه فلا فقه لكم   فاتقوا الله وكونوا خلفا

مات نعمان فمن هذا الذى   يحيي الليل اذا ماسجفا

وقيل ان الجنّ بكته ليلة مات فكانوا يسمعون الصوت بهذين البيتين ولايرون صورة الشخص

﴿ الفصل الخامس والثلاثون فى تادب الائمة معه في مماته كما هو فى حياته

وان قبره يزار لقضاء الحوائج ﴾ اعـلم انه لم يزل العلماء وذوو الحاجات يزورون قبره ويتوسلون عنده في قضاء حوائجهم ويرون نجح ذلك منهم الامام الشافعي رحمه الله لما كان ببغداد فانه جاء عنه انه قال اني لاتبرك بابي حنيفة واجيء الى قبره فاذا عرضت لي حاجة صليت ركعتين وجئت الى قبره وسألت الله عنده فتقضى سريعا وذكر بعض المتكلمين على منهاج النووى ان الشافعي صلى الصبح عند قبره فلم يقنت فقيل له لم قال تأدبا مع صاحب هذا القبر وذكر ذلك غيره ايضا وزاد انه لم يجهر بالبسملة ولا إشكال في ذلك خلافا لمن ظنه لأنه قد يعرض للسنة ما يرجح ترك فعلها لكونه الآن أهم منها ولا شك ان الاعلام برفعة مقام العلماء أمر مطلوب متأكد وانه عند الاحتياج اليه لرغم أنف حاسد أو تعليم جاهل أفضل من مجرد فعل القنوت والجهر بالبسملة للخلاف فيها وعدم الخلاف فيه ولأن نفعه متعد ونفع ذينك قاصر ولاشك ايضاً ان الامام أبا حنيفة كان له حساد كثيرون فى حياته وبعد مماته حتى رموه بالعظائم وسعوا فى قتله تلك القتلة الشنيعة السابقة ولا شك ايضاً ان البيان بالفعل أظهر منه بالقول لان دلالة الفعل عقلية ودلالة القول وضعية وهي يتصور فيها التخلف عن مدلولها بخلاف الدلالة الفعلية اذ الدلالة على كرم زيد بفعله للكرم لا يشبهها الدلالة على كرمه بقوله اني كريم واذا تمهدت هذه الدواعي اتضح ان فعل الشافعي لذلك أفضل من فعله للقنوت والجهر اظهاراً لمزيد التأدب مع هذا الامام ولمزيد شرفه وعلوه وانه من أئمة المسلمين الذين يقتدى بهم ويجب عليهم توقيرهم وتعظيمهم وانه ممن يستحيا منه ويتأدب معه من أن يفعل بحضرته خلاف قوله بعد وفاته فكيف فى حياته وان الحاسدين له خسروا خسراناً مبيناً وانهم ممن أضله الله على علم ولما وقف ابن المبارك على قبره قال رحمك الله مات ابراهيم النخعي وحماد بن سليمان وتركا خلفاً ومت أنت ولم تترك علي وجه الارض خلفاً ثم بكى بكاء شديداً وقال الحسن بن عمارة على

قبره كنت لنا خلفاً ممن مضى وما تركت بعدك لنا خلفاً ان خلفوك في العلم الذي علمتهم لم يمكنهم ان يخلفوك في الورع الا بتوفيق الله

﴿ الفصل السادس والثلاثون في بعض منامات حسنة رآها ورؤيت له ﴾

روي انه رأي الله تبارك وتعالى تسعاً وتسعين مرة فقال في نفسه لئن رأيته تمام المائة لاسألنه بم تنجو الخلائق من عذابه فرآه تبارك وتعالى فسأله فأجابه ومن انه رأى كانه ينبش قبر النبي صلي الله عليه وسلم وان ابن سيرين وتلميذه أوّلاها بانه يظهر أخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم وينشر علماً لم يسبقه اليه أحد قبله قال هشام فنظر ابو حنيفة وتكلم حينئذ ورأى هذه الرؤيا له بعض أصحابه ايضا وان الناس ينظرون اليه ولا ينكر عليه أحد منهم ثم تناول من ذلك التراب قدراً كثيراً فنفخه في الهواء من الجهات الاربع فهالته فقصها على ابن سيرين فقال ويحك ان هذا الذي رأيت لرجل جليل عظيم ان كان فقيها أو عالما قلت إنه فقيه قال فوالله ليظهرن هذا الرجل من علم رسول الله صلى الله عليه وسلم مالا يظهره الناس وليذهبن اسمه شرقاوغربافي جميع تلك النواحي التي ذر ذلك التراب فيها وقال ازهر بن كيسان رأيت النبي صلى الله عليه وسلم وخلفه ابو بكر وعمر فقلت لهما أسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن شئ قالا سل ولا ترفع صوتك فسألته عن علم أبي حنيفة لانى كنت زاهداً فيه فقال هذا علم انفتح من علم الخضر ورأيت ثلاث نجوم سقطت من السماء مرتبة فكانت أبا حنيفة ثم مسعراً ثم الثورى فذكر ذلك لمحمد بن مقاتل فبكى وقال العلماء نجوم الارض ورأي هو رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المحشر قائماً على حوضه وعن يمينه ابراهيم الخليل عليه السلام يضع خده على صدر النبي صلى الله عليه وسلم ثم أبا بكر هكذا حتى عد سبعة عشر شيخاً ورأى أمام الحوض بعض جيرانه وبين يديه اناء فسأله أن يناوله ليشرب فقال حتي أسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأله فأذن له فأعطاه كاساً فشربه وسقى اصحابه

كلهم فلم ينقص منه قدر أنملة وكان ذلك ماء أبيض من اللبن وأبرد من الثلج وأحلى من العسل ورأى بعض الابدال محمد بن الحسن فقال له ما فعل الله بك قال قال انى لم اجعل جوفك وعاء للعلم واريد ان اعذبك فقلت له مافعل بابى يوسف قال فوقي قلت فما فعل بابي حنيفة قال في أعلي عليين وفي رواية فوق ابى يوسف بطبقات ورؤى بعض الصالحين فقيل له ما فعل الله بك قال غفر لى وباهي بي وبابى حنيفة النعمان بن ثابت الملائكة ونحن وهو فى أعلى عليين وقام شخص لمقاتل بن سليمان فى حلقته فقال رأيت كان رجلا نزل من السماء وعليه ثياب بيض فقام على أطول منارة ببغداد ونادى ماذا فقد الناس فقال مقاتل لئن صدقت رؤياك ليفقدن أعلم أهل الدنيا فلم يمت الا ابو حنيفة فاسترجع مقاتل ثم قال مات من كان يفرج عن أمة محمد صلى الله عليه وسلم وعن ابى معافى الفضل بن خالد قال رأيت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت يارسول الله ماتقول فى علم أبى حنيفة فقال ذلك علم يحتاج الناس اليه وعن مسدد بن عبد الرحمن البصري أنه نام بمكة بين الركن والمقام قبيل الفجر فرأى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ما تقول فى هذا الرجل الذى بالكوفة النعمان بن ثابت أآخذ من علمه فقال صلى الله عليه وسلم خذ من علمه واعمل بعمله فنعم الرجل هو قال فقمت وكنت أكره الناس للنعمان وأنا أستغفر الله مما كان مني ورأى بعض أئمة الحنابلة النبي صلى الله عليه وسلم قال فقلت له يارسول الله حدثنى عن المذاهب فقال المذاهب ثلاثة فوقع في نفسى انه يخرج مذهب ابى حنيفة لتمسكه بالرأى فابتدأ وقال أبوحنيفة والشافعى واحمد ثم قال ومالك أربعة أربعة فقلت ايها خير فغالب ظنى انه قال مذهب احمد ﴿ تنبيه ﴾ زعم بعض حاسديه انه رؤى له منامات بضد ذلك منها ان الزبير بن احمد رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم وابا حنيفة على يساره فالتفت وقال له فان يكفر بها هؤلاء فقد وكلنا بها قوما ليسوا بها بكافرين

والشافعي عن يمينه فالتفت وقال له أولئك الذين هدي الله فبهداهم اقتده وليس
هذا المنام بصحيح لان الامام الحافظ الديلمي صاحب الفردوس شافعي ومع
ذلك روى عن المظفر عن الاستاذ الحافظ أبي جعفر القايني انه رأى مناما
طويلا مشتملا على أشياء سألها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم منها اختلاف
الأئمة فقال صلى الله عليه وسلم كل في اجتهاده مصيب فقال يارسول الله أبو
حنيفة يقول المجتهدان مصيبان والحق في واحد والشافعي يقول المجتهد ان
مصيب ومخطيء معفو عنه فقال صلي الله عليه وسلم هما قريبان في المعنى وان
كانا مختلفين في اللفظ فقلت يارسول الله فأيهما أولى بالاخذ فقال كلاهما على
الحق قلت فما معنى قول الزبير بن أحمد وذكر مامر عنه فقال صلى الله عليه
وسلم لا أحفظه ولو قلت لقلت لكليهما أولئك على هدي من ربهم قلت الحمدلله
الذي جعل في الامر سعة وأرجو أن يكون اختلافهم رحمة ومنها منام آخر
نحو ذلك حذفته لشناعته ويكفي في رده مامر له من المنامات على انها كثيرة
فانما اقتصرت منها على غررها اختصاراً

﴿ الفصل السابع والثلاثون في الرد على من قدح في أبي حنيفة بتقديمه القياس
على السنة ﴾ قال الحافظ ابن عبد البر ماحاصله أفرط أصحاب الحديث في ذم
أبي حنيفة وتجاوزوا الحد في ذلك لتقديمه القياس على الاثر وأكثر أهل العلم
يقولون اذا صح الحديث بطل الرأى والقياس لكنه لم يردّ الا بعض أخبار
الآحاد بتأويل محتمل وكثير منه قد تقدمه اليه غيره وتابعه عليه مثله وجل
مايوجد له من ذلك تبع فيه أهل علم بلده كابراهيم النخعي وأصحاب ابن مسعود
الا أنه أكثر من ذلك هو وأصحابه وغيره انما يوجد له ذلك قليلا ومن ثمة
لما قيل لاحمد بن حنبل ما لذى نقمتم عليه قال الرأي قيل أليس مالك تكلم
بالرأى قال بلى ولكن أبوحنيفة أكثر رأيا منه قيل فهلا تكلمتم في هذا بحصته
وهذا بحصته فسكت أحمد قال الليث بن سعد أحصيت على مالك سبعين مسئلة

قال فيها برأيه وكلها مخالفة لسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولقد كتبت اليه أعظه في ذلك ولم نجد أحداً من علماء الامة أثبت حديثاً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم رده الا بحجة كادعاء نسخ بأثر مثله أو باجماع أو بعمل يجب على أصله الانقياد اليه أو طعن فى سنده ولورده أحد من غير حجة اسقطت عدالته فضلا عن امامته ولزمه اسم الفسق ولقد عافاهم الله من ذلك وقد جاء عن الصحابة رضى الله عنهم من اجتهاد الرأى والقول بالقياس على الاصول مايطول ذكره وكذلك التابعون وعدّد منهم خلقا كثيرين انتهى كلام ابن عبد البر وفيه جواب شاف عن ذلك القدح فتدبره • والحاصل أن أبا حنيفة لم ينفرد بالقول بالقياس بل على ذلك عمل فقهاء الامصار كما قاله ابن عبد البر وبسط الكلام عليه رداً على من جهل فجعل ذلك عيباً (تنبيه) قد عد جماعة الامام أبا حنيفة رحمه الله من المرجئة وليس هذا الكلام على حقيقته أما أولا فقال شارح المواقف كان غسان المرجيء يحكي ماذهب اليه من الارجاء عن أبي حنيفة ويعده من المرجئة وهو افتراء عليه قصد به غسان ترويج مذهبه بنسبته الى هذا الامام الجليل الشهير وأما ثانياً فقد قال الآمدى لعل عذر من عده من مرجئة أهل السنة أن المعتزلة كانوا في الصدر الاول يلقبون من خالفهم فى القدر مرجئاً أو لانه لما قال الايمان لا يزيد ولا ينقص ظن به الارجاء بتأخير العمل عن الايمان وليس كذلك اذ عرف منه المبالغة فى العمل والاجتهاد فيه وأما ثالثاً فقد قال ابن عبد البر كان أبو حنيفة يحسد وينسب اليه ماليس فيه ويختلق عليه مالا يليق به وقد أقبل عليه وكيع فرآه مطرقا مفكراً فقال له من أين فقال من عند شريك فانشأ يقول (شعرا)

ان يحسدونى فانى غيرهم لائمهم ... قبلى من الناس أهل الفضل قد حسدوا

فدام لى ولهم مابي وما بهم ... ومات أكثرنا غيظا بما يجد

قال وكيع وأظنه كان بلغه عن شريك شيء

﴿ الفصل الثامن والثلاثون فى رد ماقيل فيه من الجرح ﴾ قال أبو عمر يوسف
ابن عبد البر والذين رووا عن أبى حنيفة ووثقوه وأثنوا عليه أكثر من
الذين تكلموا فيه والذين تكلموا فيه من أهل الحديث أكثر ماعابوا عليه
الاغراق فى الرأى والقياس وقد مر ان ذلك ليس بعيب وكان يقال يستدل
على نباهة الرجل من الماضين بتباين الناس فيه ألاترى أن عليا كرم الله وجهه
هلك فيه فئتان محب أفرط ومبغض فرّط قال الامام على بن المدينى أبو حنيفة
روى عنه الثوري وابن المبارك وحماد بن زيد وهشام ووكيع وعباد بن العوام
وجعفر بن عون وهو ثقة لابأس به وكان شعبة حسن الرأي فيه وقال يحيى بن
معين أصحابنا يفرطون فى أبى حنيفة وأصحابه فقيل له أكان يكذب قال هو أنبل
من ذلك وفى طبقات شيخ الاسلام التاج السبكى الحذر كل الحذر ان تفهم من
قاعدتهم ان الجرح مقدم على التعديل على اطلاقها بل الصواب أن من ثبتت
امامته وعدالته وكثر مادحوه ومزكوه وندر جارحه وكانت هناك قرينة دالة
على سبب جرحه من تعصب مذهبي أو غيره لم يلتفت الى جرحه ثم قال بعد
كلام طويل بل قد عرفناك أن الجارح لا يقبل منه الجرح وان فسره فى حق
من غلبت طاعاته على معصيته ومادحوه على ذاميه ومزكوه على جارحيه اذا
كانت هناك قرينة يشهد العقل بان مثلها حامل على الوقيعة فيه من تعصب
مذهبي أو منافسة دنيوية كما يكون بين النظراء أوغير ذلك وحينئذ فلا يلتفت
لكلام الثورى وغيره فى أبى حنيفة وابن أبى ذئب وغيره فى مالك وابن معين
فى الشافعى والنسائى فى أحمد بن صالح ونحو ذلك قال ولو أطلقنا تقديم الجرح
لما سلم لنا أحد من الأئمة اذ مامن امام الا وقد طعن فيه طاعنون وهلك فيه
هالكون قال ابن عبد البر هذا باب غلط فيه كثيرون وضلت فيه فرقة جاهلية
لاتدرى ماعليها فى ذلك ثم قال الدليل على انه لايقبل في حق من اتخذه جمهور
الناس اماما فى الدين قول أحد من الطاعنين لان السلف قد سبق من بعضهم

فى بعض كلام كثير فى حال الغضب ومنه ماحمل على الحسد ومنه ماحمل على التأويل مما لا يلزم المقول فيه شيء منـــه وذكر من كلام الصحابة والتابعين وتابعيهم من النظراء بعضهم فى بعض شيئاً كثيراً لم يلتفت اليه أحد من العلماء ولا عولوا عليه لأنهم بشر يغضبون ويرضون والقول في الرضا غير القول فى الغضب فمن أراد أن يقبل قول العلماء بعضهم فى بعض فليقبل قول من ذكرنا من الصحابة بعضهم فى بعض وقول من ذكرنا من التابعــين وأئمة المسلمين بعضهم فى بعض فان فعل ذلك فقد ضل ضلالا بعيداً وخسر خسراناً مبيناً وان لم يفعل ولن يفعل ان هداه الله وألهمه رشده فليقف عند ماشرطناه فانه الحق الذي لا يصح غيره ان شاء الله تعالى ثم ذكر كلام كثيرين من نظراء مالك فيه وكلام ابن معين فى الشافعي قال وما مثل من تكلم فيهما وفى نظرائهما الا كما قال الحسن بن هانئ (شعرا)

ياناطح الجبل العـالى لتكلمه اشفق على الرأس لاتشفق على الجبل

ولقد أحسن أبو العتاهية حيث قال (شعر)

ومن ذا الذى ينجو من الناس سالما وللناس قالٌ بالظنون وقيلُ

وقيل لابن المبارك فلان يتكلم فى أبي حنيفة فانشد (شعرا)

حسدوك اذا مافضلك الا.......ه بما فضلت به النجباء

وقيل ذلك لابى عاصم النبيل فقال هو كما قال أبو الاسود الدؤلى (شعرا)

حسدوا الفتى اذلم ينالوا سعيه فالقوم أعداء له وخصوم

وروى أبو عمرو عن ابن عباس رضى الله عنهما خذوا العلم حيث وجدتموه ولا تقبلوا قول الفقهاء بعضهم فى بعض فانهم يتغايرون تغاير التيوس فى الزريبة وفي رواية عنه استمعوا كلام العلماء ولا تصــدقوا بعضهم في بعض فوالذى نفسي بيده لهم أشد تغايراً من التيوس في زروبها وكذلك جاء عن عمرو بن دينار ومن ثمة ذكر في المبسوط فى مذهب مالك أنه لا يجوز شهادة القارئ

على القارئ يعني العلماء لانهم أشد الناس تحاسداً وتباغضاً

(الفصل التاسع والثلاثون في رد مانقله الخطيب في تاريخه عن القادحين فيه)

اعلم أنه لم يقصد بذلك الاجمع ماقيل في الرجل على عادة المؤرخين ولم يقصد بذلك انتقاصه ولاالحط عن مرتبته بدليل انه قدم كلام المادحين وأكثر منه ومن نقل مآثره السابقة فهو في أكثرها انما اعتمد أهل المناقب فيه على مافي تاريخ الخطيب ثم عقبه بذكر كلام القادحين ليتبين انه من جملة الاكابر الذين لم يسلموا من خوض الحساد والجاهلين فيهم ومما يدل على ذلك أيضاً أن الاسانيد التي ذكرها للقدح لايخلو غالبها من متكلَّم فيه أو مجهول ولايجوز اجماعا ثلم عرض مسلم بمثل ذلك فكيف بامام من أئمة المسلمين قال شيخ الاسلام الامام التقي ابن دقيق العيد أعراض الناس حفرة من حفر النار وقف على شفيرها الحكام والمحدثون وبفرض صحة ماذكره الخطيب من القدح عن قائله لا يعتد به فانه ان كان من غير أقران الامام فهو مقلد لما قاله أو كتبه أعداؤه أو من أقرانه فكذلك لما مر أن قول الاقران بعضهم في بعض غير مقبول وقد صرح الحافظان الذهبي وابن حجر بذلك قالا ولا سيما اذا لاح أنه لعداوة أو لمذهب اذا لحسد لا ينجو منه الا من عصمه الله تعالى قال الذهبي وما علمت عصراً سلم أهله من ذلك الا عصر النبيين والصديقين وقال التاج السبكي ينبغي لك أيها المسترشد أن تسلك سبيل الادب مع الأئمة الماضين وأن لا تنظر الى كلام بعضهم في بعض الا اذا أتى ببرهان واضح ثم ان قدرت على التأويل وتحسين الظن فدونك والا فاضرب صفحاً عما جري بينهم فانك لم تخلق لهذا فاشتغل بما يعنيك ودع مالا يعنيك ولا يزال طالب العلم عندي نبيلا حتى يخوض فيما جرى بين السلف الماضين ويقضي لبعضهم على بعض فاياك ثم اياك أن تصغي الى ما اتفق بين أبي حنيفة وسفيان الثوري أو بين مالك وابن أبي ذئب أو بين أحمد بن صالح والنسائي أو بين أحمد والحرث بن أسد المحاسبي وهلم جرا الى زمان العز بن عبد السلام والتقي

ابن الصلاح فانك اذا اشتغلت بذلك خشيت عليك الهلاك فالقوم أئمة أعلام ولاقوالهم محامل وربما لم تفهم بعضها فليس لنا الا الترضي عنهم والسكوت عما جرى بينهم كما نقول فيما جرى بين الصحابة رضوان الله عليهم

(الفصل الاربعون فى رد ماقيل انه خالف صرائح الاحاديث الصحيحة من غير حجة) هذا باب واسع جداً يستدعى سرد جميع أبواب الفقه فلنشر الى قواعد اجمالية تنفع من استحضرها عند الادلة التفصيلية واعلم أن ممن زعم ذلك من المتقدمين سفيان الثورى وآخرين منهم الحافظ أبو بكر بن أبى شيبة الكوفى وشيخ البخارى وسبب صدور ذلك منهم انهم استروحوا ولم يتأملوا قواعده وأصوله اذ منها كما قاله الامام الحافظ أبو عمر بن عبد البر وغيره ان خبر الواحد لا يقبل اذا خالف الاصول المجمع عليها فحينئذ يقدم القياس عليه وقد اعتذر عن تقديمه القياس على خبر الواحد بان ذلك لموجب لا عبثاً ولا رداً للحديث مع سلامته عن القوادح حاشاه الله تعالى من ذلك بل لموجب أي موجب أما كونه لم يطلع على الحديث أو لم يصح عنده أو كونه رواية غير فقيه وقد خالف القياس ومن ثمة ردوا حديث أبى هريرة فى المصراة لكن انتصر جماعة من الحنفية لما عليه أكثر العلماء من أن فقه الراوى ليس شرطاً لتقديم الخبر على القياس قالوا وقد عمل أصحابنا بحديث أبي هريرة اذا أكل الصائم أو شرب ناسياً مع مخالفته للقياس حتي قال أبو حنيفة رحمه الله لولا الرواية لقلت بالقياس وقد ثبت عن أبى حنيفة انه قال ماجاءنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فعلى الرأس والعين ولم ينقل عن أحد من السلف اشتراط فقه الراوي فثبت أن القول باشتراطه قول محدث قال بعضهم على ان أبا هريرة كان فقيها اذ لم يعدم شيئاً من أسباب الاجتهاد وقد كان يفتي فى زمن الصحابة وما كان يفتى فى ذلك الزمن الا فقيه مجتهد وتبعه على ذلك المحيوى القرشي فى طبقات الحنفية فقال انه من فقهاء الصحابة

كما ذكره ابن حزم وقد جمع شيخنا شيخ الاسلام التقى السبكى فتاويه في جزء سمعته منه انتهى • واما عمل الراوى بخلاف مرويه لانه يدل على النسخ أو نحوه ومن ثمة أخذوا بعمل أبي هريرة بالغسل من ولوغ الكلب ثلاثا مع روايته للسبع وبقول ابن عباس ان المرتدة لا تقتل مع روايته من بدل دينه فاقتلوه واما عموم البلوي به بان يحتاج كل واحد الي معرفته لان العادة تقضى باستفاضة نقل مثله فانفراد واحد به قدح فيه ومن ثمة لم يأخذوا بخبر نقض الوضوء بمس الذكر الذي يرويه بسرة مع عموم الحاجة الى معرفته واما كونه ورد في حد أو كفارة لسقوطهما بالشبهة واحتمال خطا الراوى المنفرد به شبهة واما مخالفته للقياس الجلى أوالذى عضده حديث آخر واما طعن بعض السلف فيه كخبر القسامة واما وقوع الاختلاف بين الصحابة فى مسئلة ورد فيها خبر الواحد ولم يحتج أحد منهم به فاعراضهم عن الاحتجاج به مع شدة عنايتهم بالاحاديث دليل على نسخه أو نحوه مثاله خبر الطلاق بالرجال فانهم اختلفوا فى ذلك فقال جماعة يعتبر فى ملك الزوج لعدده بحرية الرجل ورقه منهم الشافعي وآخرون بحرية المرأة ورقها منهم أبو حنيفة وآخرون يعتبر بمن رق منهما وأما مخالفته أعني خبر الواحد لظاهر عموم القرآن لان أبا حنيفة لايرى تخصيص عمومه ولا نسخه بخبر الواحد لانه ظنى وذلك يقيني وتقديم أقوى الدليلين واجب من ذلك خبر لاصلاة الابفاتحة الكتاب مخالف لعموم (فاقرؤا ماتيسر منه) واما مخالفته للسنة المشهورة لان الخبر المشهور أقوى من خبر الآحاد كخبر الشاهد واليمين فانه مخالف لعموم الخبر المشهور البينة على المدعى واليمين على من أنكر واما كونه زائداً علي القرآن كهذا فان الذى في القرآن رجلان أو رجل وامرأتان فالشاهد واليمين زائد عليهما اذا تقرر ذلك علم منه نزاهة أبي حنيفة رحمه الله مما نسبه اليه أعداؤه والجاهلون لقواعده بل لمواقع الاجتهاد من أصلها من تركه لخبر الآحاد بغير حجة وان لم يترك خبرا الا لدليل

أقوى عنه وأوضح قال ابن حزم جميع الحنفية مجمعون على ان مذهب أبي حنيفة أن ضعيف الحديث عنده أولى من الرأى فتأمل هذا الاعتناء بالاحاديث وعظيم جلالتها وموقعها عنده ومن ثمة قدم العمل بالاحاديث المرسلة على العمل بالقياس فأوجب الوضوء من القهقهة مع أنها ليست بحدث فى القياس للخبر المرسل فيها ولم يقل بذلك في صلاة الجنازة وسجود التلاوة اقتصاراً مع النص فانه انما ورد في الصلاة ذات الركوع والسجود وقد قال المحققون لا يستقيم العمل بالحديث بدون استعمال الرأي فيه اذهو المدرك لمعانيه التي هى مناط الاحكام ومن ثمة لما لم يكن لبعض المحدثين تأمل لمدرك التحريم في الرضاع قال بان المرتضعين بلبن شاة تثبت بينهما المحرمية ولا العمل بالرأى المحض ومن ثمة لم يفطر الصائم بنحو الا كل ناسياً وأفطر بالاستقاءة مع أن القياس فى الاول الفطر لوجود مايضاد الصوم وفي الثانى عدمه لان الصوم انما يفسده ما دخل دون ماخرج ﴿ خاتمة ﴾ قد بان لك واتضح ان الامام أبا حنيفة رحمه الله انما ترك بعض خبر الآحاد لهذه القواعد والأعذار التى أشرنا اليها ونبهناك عليها فاحذر أن تزل قدمك مع من زل أو يضل فهمك مع من ضل فانك اذاً تخسر أعمالك مع جملة من خسر وتذكر بالسوء والفضيحة مع من بهما ذكر وتتعرض لامر لا طاقة لك بحمل ضرره وترتبك في قفر مدلهم لا قدرة لك على النجاة من خطره فبادر الى السلامة مااستطعت اليه سبيلا وكن ممن سلك منها سبيل النجاة ودعا اليها بكرة وأصيلا وحفظ باطنه وظاهره عن ان يخوض فى أحد من المسلمين بما يزن نقيراً أو فتيلا فان الله يخذلك خذلانا مبيناً ويهينك هواناً عظيما (سنة الله التى قد خلت فى عباده ولن تجد لسنة الله تبديلا) وقد جهد كثيرون ممن تعرضوا السهام القطيعة وتحلوا بالصفات القبيحة الفظيعة على أن يحطوا من مرتبة هذا الامام الاعظم والحبر المقدم ويصرفوا قلوب أهل عصره ومن بعدهم عن محبته وتقليده واتباعه واعتقاد عظيمته وامامته فما قدروا على ذلك ولا يفيد كلامهم

فيه في مسلك من المسالك ليس ذلك الا لان أمره أمر سماوي لاحيلة لاحد فى
رفعه ومن يرفعه الله تعالى ويعطيه من خزائنه الواسعة لا يقدر أحـد على
خفضه ولا منعه جعلنا الله ممن قام بما للاءئة من الحقوق ولم يتدنس بشيء من
القطيعة والعقوق وعرف لكل ذي حق حقه فأداه كما يجب وشملته عين العناية
كما يحب ولم يخف فى جنب نصرة مصابيح الدجا ونجوم السماء لومة لائم حرم
التوفيق ولا تفيهق محروم هوى به لتعصبه فى مكان سحيق ولا غيظ ممقوت ضل
به رأيه السخيف حتى حط عن مراتب أولى الانصاف والتشريف ٠٠ فضراعة
اليك اللهم أن تجعلنا ممن قام بحقوق آبائه في الدين لاسيما أكابر السلف الماضين
الذين شهد لهم الصادق المصدوق بانهم من خير القرون المبرئين من كل وصمة
وعيب على رغم أنف الحساد الذين رموهم بما هم منه بريئون وممن أثنى الله
عليهم في كتابه العزيز بالدعاء لكل عامل عايم بقوله عز قائلا (والذين جاؤا
من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل في
قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا انك رؤوف رحيم) وأن تحشرنا معهم فاننا نحبهم
ومن أحب قوما حشر معهم وان تدخلنا فى زمرتهم وتجعلنا فى جملة خدمتهم
وتعيد علينا من صالح معاملاتهم وأحوالهم الباهرة وكراماتهم الظاهرة المتكاثرة
حتي نكون من جملة أتباعهم وجملة أشياعهم الك الجواد الكريم الرؤف الرحيم
ياربنا لك الحمد كما ينبغى لجلال وجهك وعظيم سلطانك القديم ولك الشكر
الكامل اذ أهلتنا للخضوع تحت اشارة أوليائك وجعلتنا من أهل ولائك وصل
اللهم وسلم وبارك أفضل صلاة وأفضل سلام وأفضل بركة على أفضل الخلق
سيدنا محمد وعلي آله وصحبه عدد معلوماتك أبدا ومداد كلماتك سرمدا كلما ذكرك
وذكره الذاكرون وغفل عن ذكرك وذكره الغافلون سبحان ربك رب
العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين

﴿ فهرس الخيرات الحسان ﴾

صحيفة